المحاضرة الأولى : مدخل عام للانثربولوجيا

– تمهيد :

الأنثروبولوجيا هي الدراسة المتكاملة للإنسان بما تحويه من جوانب سيكولوجية وبيولوجية وفسيولوجية وثقافية واجتماعية، وحتى منتصف القرن التاسع عشر كانت جميع العلوم الإنسانية والاجتماعية تستخدم هذا المفهوم وهاهو "تايلور" (Tylor) يعرفها أنها الدراسة البيوثقافية المقارنة للإنسان فهي تحاول الكشف عن العلاقة بين المظاهر البيولوجية الموروثة للإنسان وما يتلقاه من تعليم وتنشئة اجتماعية (عيسى الشماس ،2004،ص13) ولعل أفضل طريقة لتعريف الأنثروبولوجيا تكمن في تحديد ما يقوم به علماء الأنثروبولوجيا في الواقع، ومع ذلك نجد أن هؤلاء العلماء يختلفون من مكان لآخر، ومن زمن إلى آخر في نظرتهم للأنثروبولجيا، فيقول العلماء الأمريكيون أن الأنثروبولوجيا هي وصف الخصائص الإنسانية والبيولوجية والثقافية للنوع البشري عبر الزمان ويستخدم الأمريكيون مصطلح الأنثروبولوجيا الفيزيقية للإشارة إلى الجانب العضوي أو الحيوي للإنسان، بينما يستخدمون مصطلح الأنثروبولوجيا الثقافية ليعني مجموع التخصصات التي تدرس الجوانب الاجتماعية والثقافية لحياة الإنسان وفي فرنسا تعني كلمة أنثروبولوجيا دراسة التاريخ الطبيعي للإنسان وفي ألمانيا تعني دراسة التنوعات الطبيعية الجوهرية بين البشر، أو الدراسة الطبيعية للإنسان أما في بريطانيا فقد اختاروا تسمية أخرى وهي الأنثروبولوجيا الاجتماعية، ونظروا إليها باعتبارها علما قائما لا جزءا من الأنثروبولوجيا الثقافية وهكذا تركز الأنثروبولوجيا مشكلاتها من ناحية على الإنسان كعضو في المملكة الحيوانية أي ككائن فيزيقي حالي أو ككائن فيزيقي منقرض يتألف من جسم وعقل وروح، ويتميز بخصائص فيزيقية في تكوينه ونموه وهذه الخصائص تميزه عن بقية الكائنات الحية الأخرى وتربط الأنثروبولوجيا أعضاء جسم الإنسان بحياته الروحية، وتهتم بالتغيرات الجسمية والعقلية التي تعتري الإنسان عبر التاريخ ومن هنا تستعين الأنثروبولوجيا بعلوم التشريح المقارن والبيولوجيا الإنسانية، وبعلم آثار ما قبل التاريخ، وعلم الأجناس أو السلالات وعلم الحفريات، ويسمى هذا الفرع من الأنثروبولوجيا العامة بالأنثروبولوجيا الطبيعية أو الفيزيقية. إلا أن الأنثروبولوجيا من ناحية أخرى لا تدرس الإنسان ككائن وحيد أو منعزل، وإنما تدرسه ككائن اجتماعي يحيا في مجتمع، وعليه حقوق وواجبات، ويؤدي وظائف اجتماعية، ويعيش في ثقافة، وينتشر في الأرض زمرا، ومن ثم فهي تدرس سلوك الإنسان كعضو في المجتمع من ناحية، ومنشئ للثقافة من ناحية أخرى. وتدرس الأنثروبولوجيا الإنسان في كل زمان ومكان، فهي لا تقصر نطاقها في مرحلة تاريخية محددة بالذات، وإنما تهتم بالأشكال الأولى والمبكرة للإنسان وأجداده وأصوله منذ أقدم العصور والأزمنة حتى يومنا هذا، فكل الباحثين ركزوا على هذا المخلوق الذين اعتبروه عجيبا إلا و هو الإنسان فهي تهتم بتاريخ الشعوب التي تفتقر إلى التاريخ المسجل أو المكتوب، ونمو الحضارات منذ أقدم الأشكال التي وصلتنا عنها أي سجلات أو بقايا حتى يومنا هذا لتتطور وتتقدم الانثربولوجيا و تتعدد أشكالها وأنماطها من انثربولوجيا حضرية إلى اجتماعية إلى نفسية وطبية وصولا إلى الانثربولوجيا الجنائية التي تساهم إلى حد كبير في تفسير الخصائص الإجرامية لدى الإنسان و حتى يمكننا فهم هذا الفرع الجديد الذي يحوي الظاهرة الإجرامية لابد لنا من إعطاء تعريف لبعض المصطلحات المهمة التي تعتبر أساسية في هذا الفرع بداية بتعريف الانثربولوجيا عامة وفق ما اتفق عليه العلماء و التي صاغها لنا عيسى الشماس في التعريف التالي : بأنّها علم (**الأناسة**) العلم الذي يدرس الإنسان كمخلوق، ينتمي إلى العالم الحيواني من جهة، ومن جهة أخرى أنّه الوحيد من الأنواع الحيوانية كلّها، الذي يصنع الثقافة ويبدعها والمخلوق الذي يتميز عنها جميعاً أي علم دراسة الإنسان طبيعياً واجتماعياً وحضارياً فهي لا تدرس الإنسان ككائن وحيد بذاته، أو منعزل عن أبناء جنسه، إنّما تدرسه بوصفه كائناً اجتماعياً بطبعه، يحيا في مجتمع معين له ميزاته الخاصة في مكان وزمان معين وبالتالي فهي علم شامل يجمع بين ميادين ومجالات متباينة ومختلفة بعضها عن بعض، اختلاف علم التشريح عن

تاريخ تطوير الجنس البشري والجماعات العرقية، وعن دراسة النظم الاجتماعية من سياسية واقتصادية وقرابية ودينية وقانونية، وما إليها .. وكذلك عن الإبداع الإنساني في مجالات الثقافة المتنّوعة التي تشمل التراث الفكري وأنماط القيم وأنساق الفكر والإبداع الأدبي والفني، بل والعادات والتقاليد ومظاهر السلوك في المجتمعات الإنسانية المختلفة. (عيسى الشماس ،2004، ص14). ومنه يمكننا القول بأن الانثربولوجيا هي ذلك العلم الذي يهتم بالإنسان سواء من ناحية تكوينه العضوي الطبيعي والخصائص التي تميزه عن بني جنسه من حيث التركيبة المورفولوجية (لون البشرة ، الشعر ، طبيعة الجسم ...الخ) أو من حيث التركيبة الفزيولوجية والتي تلعب فيها وظائف مكونات جسم الإنسان دور كبير في اتجاهاته و سلوكه ، كما أن الإنسان له نظم و عادات و فيم و طبائع و جوانب نفسية تختلف من شخص إلى أخر تسعى الانثربولوجيا إلى دراستها و البحث فيها للوصول إلى سبب هذا التباين و الاختلاف الموجود .

1- المفهوم الاجتماعي الجريمة :

يتفق علماء الاجتماع على أهمية العوامل الاجتماعية و تأثيرها في تكوين شخصية المجرم و في تحديد سلوكه المنحرف ،فالسلوك الإجرامي هو اعتداء على القيم السلوكية في مجتمع معين حيث يرى "**لافي بروهل** " أن الجرم هو كل فعل يصدم بشدة الضمير الجماعي لجماعة معينة فيحدث ردة فعل لديها ضد الفاعل المفترض .ويرى **إميل دوركهايم** العقوبة الجزائية تفرض على من يمس الشعور القوي للضمير الجمعي سواء من فرد أو من مجموعة أفراد أعضاء في مجتمع معين على القيم المشتركة الخاصة بهذا المجتمع(صالح حسن الداهري ، 2011، ص28) .

2- تفسير الجريمة في العصور القديمة

2-1- تفسير الجريمة في العصر الحجري تعود أقرب مرحلة تتوفر خلالها أدلة علمية على شكل حياة الإنسان إلى العصر الحجري فخلال تلك المرحلة عاش الإنسان حياة خوف وصراع من أجل البقاء في بيئة لا يبقى فيها إلا الأقوى والأكثر شراسة من البشر والحيوانات على حد سواء، حينها كان الإنسان والحيوان يمثل كل واحد منهما غذاءً للآخر وخطرا على الآخر، فالقتل كان من الأعمال التي توفر العيش لكليهما يأتيانه بالغريزة، ويعتقد العلماء أن طابع العنف هذا موجود حتى فيما بين البشر أنفسهم ،لأن قسوة الحياة ووحشيتها جعلت كل فرد يعتقد أن بقاءه يعتمد على فناء الآخر. وتحت وطأة هذه الخصائص المتوحشة وما تعج به الطبيعة من ظواهر مهلكة تميزت الحياة الاجتماعية الأولى بالاندفاع الشديد نحو الميتافيزيقيا الخرافية، وتمجيد القسوة والعنف، وهذا ما يفسر اقتصار التجريم في المجتمعات البدائية الأولى بعد أن نشأ فيها نوع من أنواع السلطة على ثلاثة أنماط سلوكية هي: الخروج عن طاعة السلطة ، انتهاك حرمة رابطة الدم بزنا المحارم، الخروج عن الطقوس والمعتقدات السائدة.

2-2- **تفسير الجريمة في الحضارة الإسلامية** : الجريمة في الشريعة الإسلامية هي محظورات شرعية زجر الله بحد أو تعزير، وتنقسم الجرائم على تعددها وتنوعها من حيث جسامة العقوبة المقدرة عليها إلى ثلاثة أقسام :(حسن عيسى عبد الظاهر ،1985، ص14)

2-2-1- جرائم الحدود وهي: الزنا، والقذف، وشرب المسكر، والسرقة، والحرابة، والردة، والبغي وعقوبات هذه الجرائم مقدرة من الله حقا خالصا له تعالى، لا زيادة فيها ولا نقصان منها، ولا تقبل الإسقاط بأي وجه من الوجوه متى ما ثبتت أية جريمة من هذه الجرائم.

2-2-2- جرائم القصاص والدية وهي: القتل العمد، والقتل شبه العمد، والقتل الخطأ، والجناية على ما دون النفس عمدا، والجناية على ما دون النفس خطأ وعقوبات هذه الجرائم مقدرة حقا للأفراد، ومعنى أنها مقدرة هو أنها ذات حد واحد فلا زيادة فيها ولا نقصان منها، وهي قابلة للإسقاط إذا عفا المجني عليه أو ولي الدم.

2-2-3- جرائم التعزير وهي : جرائم غير محددة بعدد، وقد ورد في الشريعة الإسلامية ذكر أمثلة لها، كالرشوة، والربا، والسب، وتركت الشريعة الإسلامية لولي الأمر النص على بقية الجرائم حسب ما يتحقق به الدفاع عن مصلحة الجماعة ولا يخالف الشريعة الإسلامية، وليس لهذا النوع من الجرائم عقوبات محددة، فالقاضي يمكنه أن يختار العقوبة المناسبة لنوع الجريمة وظروف الجاني، فقد تبدأ العقوبات التعزيرية بأهونها كعقوبة التوبيخ، وتنتهي بأشدها كعقوبة القتل تعزيرا. :(حسن عيسى عبد الظاهر ،1985، ص14)

فلقد عالجت الشريعة الإسلامية الجريمة انطلاقا من مصادر التشريع الإسلامي الأساسية (القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والإجماع) و بينت أن للجريمة ثلاثة أركان هي:

أ – الركن الشرعي ويمثله النص الشرعي بالأمر أو النهي.

ب– الركن المادي ويمثله العمل المكون للجريمة من فعل أو امتناع أو قول.

ج– الركن الأدبي أو المعنوي ويمثله توفر عنصر المسؤولية الجنائية كأن يكون الفاعل مكلفا.

لقد أحاطت الشريعة الإسلامية جميع أوجه حياة الإنسان حتى منذ ما قبل وجوده على هذه الأرض، قال تعالى: "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ(القران الكريم، سورة البقرة ، الاية35)

ولا شك أن الله تعالى سن شريعته الغراء لمصلحة بني البشر، فلم ينه عن فعل إلا كان في إتيانه مضرة على الإنسان، قال تعالى:"فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشيطان لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ" (القران الكريم، سورة الأعراف ، الاية22)

وقد أكدت الشريعة الإسلامية على أن سبب حدوث السلوك الإجرامي هو الشيطان الرجيم، يدخل جسم الإنسان ويأمره بفعل الجرائم، قال تعالى: "الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" (القران الكريم، سورة البقرة ، الاية268)

والشريعة الإسلامية لم تكتف بالتجريم، بل سنت كثيرا من العقوبات على عصيان تعاليم الشارع، ويتضح في القرآن أن أول عقوبة تعرض لها آدم، عليه السلام، هي طرده من الجنة، قال تعالى: "قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ" (القران الكريم، سورة الأعراف ، الاية25)

ويتضح في القرآن الكريم، أيضا، أن أول فعل للإنسان خالف فيه أوامر ربه ونواهيه كان في أثناء وجوده في الجنة قبل أن يتأثر بالعوامل البيئية والثقافية على الأرض، وهذا يشير، بوضوح، إلى الضعف المركب الذي أوجده الله تعالى في النفس الإنسانية بالفطرة، وهنا يلحظ أن القرآن الكريم قد سبق النظريات الحديثة التي تحدثت عن الفطرة كأساس للسلوك الإنساني، كما أن في الآيات السابقة دلالة على دور التقليد في حدوث السلوك الإجرامي، وهي نظرية جاءت متأخرة على يد العالم (تارد) في العصر الحديث، ويتضح ذلك أيضا في قوله تعالى: "فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ{20} وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ"{21}.(القران الكريم، سورة الأعراف ، الاية20 و21)

3- التفسير الحديث للجريمة

بمضي الوقت أخذت قواعد التجريم تستقل تدريجيا في المعتقدات الدينية، وتأخذ طابعا يستهدف مصلحة الجماعة وتنظيم الروابط الاجتماعية، قبل أن يستهدف إفاء المشاعر الدينية للجماعة وبعد مرحلة أخرى من التطور بدأ أسلوب الفكر العلمي المنطقي يتسرب إلى مبادئ التجريم والعقاب لتحقيق مصلحة الجماعة وروابطها الخلقية، وأخذت دائرة التجريم تضيق تدريجيا، فأصبحت تشمل أصلا الأفعال الضارة بالمجتمع أو بالأدق تلك الأفعال التي تعتقد المجتمعات أنها ضارة بها عن صواب أو خطأ وفي هذا الشأن تفاوتت كثيرا الحضارات المتنوعة بحسب تنوع ظروفها الجغرافية والتاريخية، والسياسية والدينية والاقتصادية (نجيب بولماين ،2008، ص52)

وحين أخذ الفكر البشري استقلاله والتخلص من التأثرات الدينية بدأ يصطبغ بصبغة اجتماعية انعكست على مفاهيم الجريمة والعقوبة فانحصرت دائرة الجريمة في حدود الأفعال الضارة بالمجتمع وبدأت فكرة مسؤولية المجرم عن أفعاله في الظهور وكان طبيعيا إزاء ذلك أن يتجه الفكر الإنشائي عن أساب الجريمة على المجرم وإلى مجتمعه.

لقد شهد القرن الثامن عشر ما يعرف باسم الثورة العقلية أو الفكرية في دول أوروبا، وأدت هذه الثورة إلى الاعتماد على العلم في تغيير الظواهر الطبيعية محل القوى الغيبية وقد أطلق على هذه الفترة من التاريخ اسم عصر التنوير، وكان هذا العصر يمثل ثورة فكرية ضد حكم الإقطاع من جهة وسيطرة الكنيسة والحتمية من جهة أخرى وشهد أقوى هجوم عن الدين المسيحي ومسلماته وتفسيراته للكون وللمجتمع وقد دعا فلاسفة ومفكرون هذا العصر إلى حرية الفكر ونادوا بحرية الفرد وبالمساواة الاجتماعية وتطبيق العدالة وقد شهد هذا العصر جدال ومناقشة حول طبيعة الإنسان وطبيعة الدولة والعلاقة بينهما، وقدس مفكروا هذا العصر الجدال والنقاش وحرية العقل الإنساني وتحريره من أي أفكار جامدة تمليها أي سلطة مهما كانت وكان شعار هو ما نادى به الفيلسوف" ديكارت "فكر لنفسك، والانطلاق من الشك إلى اليقين"(نجيب بولماين ،2008، ص54)

وخلاصة القول أن فلاسفة ومفكري عصر التنوير قد ثاروا على المجتمع القائم أنداك وعلى النظم السياسية والاجتماعية السائدة فيه ودعوا إلى العدالة والمساواة والحرية وإلى الاعتماد على العلم في فهم وتفسير الواقع، وقد أدى هذا التفكير إلى إلقاء الشك على التفسيرات الدينية والميتافيزيقية لكل شيء، بما في ذلك السلوك الإنساني الذي لم يعد محتوما بإرادة الآلهة ولكنه أصبح يخضع للإرادة الحرة للإنسان وقد أدت هذه الثورة الفكرية إلى ظهور تفسيرات أكثر واقعية للسلوك الإجرامي.

قائمة المراجع المحاضرة الأولى :

- عيسى الشماس (2002) : مدخل إلى علم الإنسان الانثربولوجيا ،اتحاد كتاب العرب ، دمشق ،دط.
- نجيب بولماين (2007-2008): الجريمة و المسألة السوسيولوجية دراسة بأبعادها السوسيوثقافية و القانونية ، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع التنمية،جامعة منتوري قسنطينة.
- حسن عيسى عبد الظاهر (1985): الحدود في الإسلام من فقه الجريمة و العقوبة ، حولية كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية ، العدد الرابع .
- صالح حسن الداهري (2011): أساسيات علم النفس الجنائي و نظرياته ، دار الحامد للنشر و التوزيع ، الأردن ، ط1.

المحاضرة الثانية ماهية الانثربولوجيا الجنائية و موقعها من العلوم الأخرى

1- مفهوم الانثربولوجيا الجنائية

فالانثربولوجيا الجنائية the science of anthropology أو علم طبائع المجرم يعنى بدراسة المجرم من حيث صفاته التكوينية البايولوجية (العضوية) و النفسية و أثر العوامل البيئية المحيطة به على تلك الصفات و ذلك بقصد تفسير الدوافع و الأسباب للأفعال الإجرامية الفردية و يعني ذلك علم الانثربولوجيا الجنائي لا يعطي تفسيرا لظاهرة الإجرام بوجه عام ولكنه يفسر الأسباب التكوينية التي تدفع المجرم إلى ارتكاب الجريمة (أكرم نشأت إبراهيم ، 2011،ص13).

2- موقع الانثربولوجيا الجنائية من العلوم الأخرى

يرى الدكتور رمسيس بهنام في كتابه النظرية العامة للقانون الجنائي " أن من العلوم الجنائية علوم تنقطع لدراسة الجريمة كواقعة و المجرم كشخص بصرف النظر عن حكم القانونية في شأنهما و على ضوء الواقع الكوني الملموس وهي تحتوي على علمين هما :علم طبائع المجرم و علم الاجتماع الجنائي أو الإجرامي(رمسيس بهنام ،1997، ص84). و ترى الدكتورة سامية حسن الساعاتي " أن كتابات علم الأنثروبولوجيا الجنائية نجدها قد تغيرت إلى مبادئ علم الإجرام الفردي عام 1954 م، و يعد التقسيم الذي طرحه الدكتور عبد الفتاح مصطفى الصبغي أهم الدراسات في هذا المجال فقد أورد تقسيمات بعض الفقهاء ثم طرح رأيه الخاص نوردها كالتالي:

2-1- تقسيم " دي أسوا : "الفقيه الإسباني :يقسم العلوم الجنائية إلى أربع فئات رئيسية:

-علم الإجرام و من فروعه علم العقاب.

- القانون الجنائي و قانون الإجراءات الجزائية و علم السياسة الجنائية.

- علم التحقيق الجنائي.

- العلوم المساعدة .

و مما يؤخذ على هذا التقسيم أنه وضع علم العقاب كفرع لعلم الإجرام بينما هو علم إلى جانب علم الإجرام ، كما أنه لا يظهر في تقسيمه مكان ظاهر لعلم الأنثروبولوجيا الجنائية.

2-2- تقسيم الفقيه الإيطالي مانسيني: يقسم العلوم الجنائية إلى ثلاث فئات:

- القانون الجنائي.

- علوم تبحث في الظاهرة الاجتماعية النفسية للجريمة :علم الإجرام الأنثروبولوجيا الجنائية -علم الاجتماع الجنائي -علم النفس الجنائي.

- علوم تستهدف ملائمة الوسيلة للهدف :منها السياسة الجنائية

2-3- تقسيم الفقيه الإيطالي " **كفالو** :"يقسم العلوم الجنائية إلى 4 فئات:

أ - القانون الجنائي :و هو قانون مستقل تدور سائر العلوم الجنائية حوله.

ب - العلوم الجنائية المساعدة :فيها :الأخلاق -السياسة الجنائية -الفلسفة العقابية-الأنثروبولوجيا الجنائية-علم النفس الجنائي - علم الاجتماع الجنائي -علم الإجرام

ت - العلوم التكميلية :قانون العقوبات المقارن- تاريخ قانون العقوبات -الطب الشرعي و

النفسي.

ث – علوم تتصل بتطبيق قانون العقوبات :علم النفس القضائي –علم البوليس الفني علم السجون. يؤخذ على هذا التقسيم أنه أدرج الأخلاق و الطب الشرعي ضمن العلوم الجنائية.

2-5- تقسيم المدرسة النمساوية :من أبرز روادها :سيلينغ –هانس قروس – قراس برغر يقسمون العلوم الجنائية إلى:

أ .علم الحقيقة الإجرامية فيه : علم الظاهرة الإجرامية المورفولوجيا و الانثروبولوجيا الجنائية.

ب .علوم دراسة الوقائع الإجرامية الطب الشرعي –علم الأمراض النفسية و العقلية –علم النفس القضائي الجنائي –التكتيك الجنائي المتعلق بالإثبات.

ج .علوم دراسة مكافحة الجريمة :علم التربية الوقائية –علم العقاب –علم الوقاية من الجريمة (مأمون سلامة ،1967، ص 110).

2-6- تقسيم الفقيه الإيطالي :جرسبيني :يقسم العلوم الجنائية إلى 3 فئات:

أ –علوم القاعدة القانونية الجنائية :قانون العقوبات –تاريخ قانون العقوبات –علم الاجتماع

الجنائي –فلسفة قانون العقوبات –السياسة الجنائية.

ب –علوم شخصية المجرم و السلوك الإجرامي :الانثروبولوجيا الجنائية –علم الاجتماع الجنائي.

ج –العلوم المساعدة :الطب الشرعي –علم النفس القضائي –علم الأمراض العقلية –فن التحقيق.

ما يلاحظ على تقسيم جرسبيني أنه لا يعترف بوجود علم مستقل يدعى :علم الإجرام لأنه في نظره ليس سوى علم السياسة الجنائية، كما أنه يدخل علم النفس الجنائي ضمن علم الأنثروبولوجيا الجنائية إذ يرى أن الأنثروبولوجيا الجنائية علم واسع يشمل جميع العلوم الدارسة للجانب العضوي و النفسي للمجرم (سعداوي محمد الصغير ،2010،ص19).

كما أنه يفصل بين علم الاجتماع الجنائي و الأنثربولوجيا الجنائية " مع أنهما ليسا سوى جزئين مكونين لعلم الإجرام،إذ أن هذا العلم يستعين بالنتائج التي يقدمها إليه كل منهما "ويلاحظ أن الفقيه" جرسبيني "قد عدل عن رأيه الأول و صنف في مؤلفاته اللاحقة علم الإجرام ضمن العلوم الجنائية.

2-7- تقسيم الدكتور عبد الفتاح مصطفى الصيفي :يرى أن أسلم تقسيم ينبغي أن يعتمد على وحدة الموضوع لكل فئة و بناءا عليه يكون التقسيم كالتالي:

أ –علوم القاعدة الجنائية :القانون الجنائي –تاريخ القانون الجنائي –علم الاجتماع القانوني فلسفة القانون الجنائي –علم العقاب – قانون الإجراءات الجزائية

ب –علوم دراسة الظواهر الجسدية والطبيعية للمجرم :الأنثروبولوجيا الجنائية –الفيسيولوجيا الجنائية –علم التكوين الإنساني – المورفولوجيا.

ج –علوم دراسة الجانب العقلي و النفسي للمجرم.

د –علوم دراسة الناحية الاجتماعية للسلوك الإجرامي

هـ–العلوم الاحتوائية تدرس النتائج العلمية و القواعد الفنية لعلوم أخرى وفيها :علم الإجرام علم السياسة الجنائية.

و –العلوم المساعدة :الطب الشرعي –التحقيق الفني–علم النفس القضائي . و يؤكد الدكتور عبد الفتاح مصطفى الصيفي على ضرورة إرفاق هذا التقسيم بالملاحظات التالية:

1- أن هناك تداخلا بين هذه العلوم الجنائية و يرجع ذلك إلى أنها تشترك معا في وحدة النظام الذي تنتمي إليه، الأمر الذي يجعل حدا فاصلا بين كل منها أم ا ر يكاد يكون مستحيلا.

2- أن من هذه العلوم ما يستعين بغيره منها، فتظهر حاجة السياسة الجنائية إلى علم الإجرام أو الأنثروبولوجيا الجنائية.

3- إن وصف هذه العلوم بأنها جنائية إنما يرجع إلى أنها جميعا تتصل بالسلوك الإجرامي بصفته سلوكا ينجم عن تفاعل مجموعة من العوامل.

قائمة المراجع المحاضرة الثانية :

– أكرم نشأت ابراهيم (2011): علم الانثربولوجيا الجنائي ،دار الثقافة للنشر و التوزيع ، عمان ،ط2.

- سعداوي محمد الصغير (2009-2010):السياسة الجنائية لمكافحة الجريمة دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والتشريع الجنائي الدولي ،رسالة دكتوراه في الثقافة الشعبية ، جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان.

– مأمون سلامة (1967):أصول علم الإجرام ، دار الكتب ، مصر ، دط.

- رمسيس بهنام (1997) :النظرية العامة للقانون الجنائي ،منشأة المعارف ، الاسكندرية ،ط3.

المحاضرة الثالثة التكوين البايولوجي للفرد المجرم (الجزء الأول)

النظريات البايولوجية الجنائية قبل لومبرورز:

تعتبر دراسات كل من Delle porta ,L avarta ,De la chambre من أبرز تلك الدراسات الجنائية الرائدة في ميدان الفراسة الجنائية حيث تناولت بحث العلاقة بين تركيب جسم المجرم و ملامح و هيئة جسده كالوجه والرأس والقامة وبين طبيعة سلوكه ،ولعل أهم تلك الدراسات كانت دراسة ديلابورتا التي نشر نتائجها في كتابه الشهير السمات الخارجية للفرد و توصل من تلك الدراسة إلى أن سمات جماجم بعض المجرمين تشبه إلى حد كبير جماجم بعض الحيوانات المتوحشة و هي الفكرة التي أخذها عنه فيما بعد لمبروزو و طورها إلى فكرة الردة الوراثية كما سنرى لاحقا وبالرغم من أهمية تلك الدراسات إلا أن غالبية هذه الدراسات ظلت بعيدة عن الطابع العلمي المنهجي حيث لم يتهيأ لها السبيل إلى إثبات أهميتها حتى ظهر ما عرف بعلم فراسة الدماغ الذي يعزى ظهوره إلى مؤسسة العالم الفرنسي "(فرانتز جوزف غال 1828-1758) حيث ركز على دراسة الجمجمة و تضاريس المخ و علاقتها الاحتمالية بالإجرام (أحسن طالب ، 2002،ص51).

و في نفس الإطار قام الطبيب النفسي بول بروكا Paul Broca بالربط بين الجريمة وشكل الجمجمة والقامة وملامح الوجه أو الملامح العضوية كما سماها وأضاف الملامح النفسية فيما بعد أي التكوين النفسي والعقلي للفرد و علاقته بالسلوك الإجرامي ،وهكذا توالت الدراسات الانثربولوجية التي تناولت دراسة و تشريح جماجم المجرمين و قد شكلت هذه الدراسات الرائدة البداية لظهور علم الانثربولوجيا الجنائية في معناها الصحيح العلمي ،كما ساعد ظهور هذا العلم بوجه خاص تلك الدراسات التشريحية الجنائية التي قام بها عدد من الأطباء السجون الانكليزية مثل Nicholson, tombson, Wilson وكانت جميع تلك الدراسات انثربولوجية جنائية تناولت البحث عن نموذجية انثربولوجية للمجرم ومدى إمكانية تمييزه عن غيره عن طريق بعض الملامح الجسمانية وعلى سبيل المثال فقد وجد ويلسون في دراسة تشريحية لرؤوس 464 مجرما ، أن هناك نموذجا إجراميا خاصا يتميز به رأس المجرم ،اللص المحترف بشكل واضح كما وجد تمبسون في دراسة مماثلة تناولت 5000 مجرم أن هناك بعض الصفات الجسمانية المشتركة التي يتميز بها المجرمون دون غيرهم (أكرم نشأت إبراهيم ،2011، ص 46).

1-1- النظرية اللومبروزية و تفسير الإنسان المجرم :

ولد سيزار لمبروزو في مدينة فيرونا الواقعة شمال إيطاليا، منحدرا من عائلة ثرية يهودية الأصل دخل لومبروزو كلية الطب في جامعة بافيا الإيطالية وتخرج منها عام 1858، ظهر اهتمام لومبروزو بالمجرم الرجعي أو المجرم المولود منذ سن مبكر ففي شبابه كان يجوب ريف لومبارديا لكي يرى الفقراء والمهمشين وحتى المجانين حتى يتعرف على هيئتهم وكان يقوم بتعليق منشورات في بعض القرى كي يلتقي القرويين المريضين بداء البلاجرا وهو داء ناتج عن سوء التغذية، من هنا كانت نقطة تركيز لومبروزو الأولى حيث كان يعتقد أن الإنسان ذو البنية الضعيفه أو الغير نامية بشكل صحيح قد تؤدي إلى اختلاف بينه وبين الشخص الطبيعي، في عام 1859 انضم لومبروزو إلى الفريق الطبي العسكري الإيطالي، وفي تلك الفترة كان هناك حملة في ايطاليا لمكافحة اللصوصية وتم دعوته في تلك الفترة إلى إقليم كالابريا وهناك درس لكنة أهل المقاطعة وعادتهم وفكرهم. ظهر اهتمام لمبروزو بالمجرمين عام 1864 ما أثار اهتمامه هو الوشم الموجود على أجسام بعض الجنود ومدى الفحش الذي تمثله بعض هذه الوشوم وحاول الربط بين الجنود المجرمين أو الغير صادقين والوشم على أجسادهم، أدرك لومبروزو أن الوشم وحده لا يكف لفهم الطبيعة الإجرامية، وأنه لابد من تحديد سمات الشخص غير الطبيعي والمجرم والمجنون باستخدام طرق تجريبيه مبنية على العلم الوضعي وفي 1866 عين محاضرا زائرا في جامعة بافيا وفي 10أبريل 1870 تزوج من **نينا دي بنيديتي** وأنجب منها خمسة أطفال، بما فيهم **جينا** المولودة الثانية التي كتبت السيرة الذاتية لوالدها، في عام 1871، أصبح مدير المركز لجوء بيزارو، وكانت تجربه مهمة لصقل مهارته وقدرته العملية، خلال

تلك الفترة وضع لومبروزر الإقتراح الذي عرضه على السلطات الوزارية وهو إنشاء مركز لجوء للأفراد المختلين عقليا المرتكبين جرائم خطيرة والأفراد المختلين عقليا الخطريين على المجتمع وفي السنة التالية عاد إلى مدينة بافيا وبدأ دراسات من شأنها أن تؤدي إلى نظرية الرجل المجرم توفي في 19 أكتوبر1909 (موسوعة ويكيبديا،ar.wikipedia.org)

1-1-1- محتوى النظرية :

يعتبر العامل البيولوجي عاملا أساسيا في تفسير السلوك، وقد ظهر هذا الاتجاه عند المدرسة الايطالية التي أسسها سيزار لومبروزو Lombroso Cesareفذكر أن المجرم شاذ من الناحية الجسمية والنفسية، فالناحية الجسمية تتضمن صفات خاصة مثل بروز عظام الخدين، أما من الناحية النفسية فيتميز المجرم بقلة الإحساس بالألم وانعدام الخجل فهو مجرم بالميلاد، فهو يرتد إلى الإنسان البدائي، وهذا الارتداد هو أساس نظريته وضح لومبروزو نظريته البيولوجية في كتابه "الإنسان المجرم 1876 "حيث اخضع الجريمة إلى الدراسة العلمية عوضا من اللاهوتية والميتافيزيقية .(مخلوفي محمد العربي ،2007،ص28) حيث جاء بمصطلح atavism او التخلف و أشار أيضا إلى وجود علاقة بين الجنون والجريمة ،ورأى وجود علاقة بين الصفات الجسدية والعقلية والجريمة منذ الولادة ،فالمجرم عند لومبروزو يتصف بالتخلف أو الارتداد في سلم التطور أي انه أقرب إلى التوحش والبدائية وله من الصفات انحدار الجبهة وكبر حجم الأنف والشعر الخفيف الاجعد وبروز عظمة الخد والتشابه الكبير بين الجنسين ، وقد توصل إلى هذه الصفات الجسدية بعد أن فحص 383 جمجمة لمجرمين متوفين و 6000 من المجرمين الأحياء ، وخاصة بعد تشريحه لمجرم يسمى" **فيلالا** " حيث وجد تجويفا في قاع الجمجمة شبيها بذلك الموجود لدى الحيوانات العليا كالقردة ،وفحص مجرما آخر يسمى "فرني "الذي قتل حوالي 20 امرأة وكان يشرب دماء ضحاياه ، وفحص أيضا الجندي "ميسديا" الذي قتل 8 من رؤسائه وزملائه علما أنه لم يكن مجرما قبل ذلك وبعد قتل زملائه غاب عن الوعي 12 ساعة و عندما استيقظ لم يتذكر شيئا ،وبناء على ذلك يربط لومبروزو بين الصرع والجريمة حيث وجد أن هذا الجندي يملك أشد الصفات الحيوانية توحشا وخلص إلى القول : إن بعض المجرمين مولودون ولا سبيل إلى إصلاحهم سوى بالعلاج ، ويقدر نسبة المجرمين بالولادة ب 65-70 بالمائة ، من مجموع المجرمين (عايد عواد الوريكات ،2004،ص 79).

كما ميز لومبروزو خمسة أنماط من المجرمين :

أ- **المجرم بالولادة:** وميزه بوجود الملامح و السمات الارتدادية في التكوين الجسمي وبفحص هذه الصفات كما يلي :اختلاف حجم وشكل الرأس مقارنة بالنمط الشائع في سلالة المنطقة التي ينتمي إليها وعدم انتظام وتشابه نصفي الوجه وكبر زائد في أبعاد الفك والعظام الوجنتين وتشوهات في العينين وكبر زائد أو صغر غير عادي في حجم الأذنين أو بروزهما من الرأس بشكل مائل مثل أذني الشمبانزي والتواء الأنف أو اعوجاجه أو وجود بروز فيه أو مشابه للمنقار أو انفطاسه وامتلاء الوجنتين وبروزهما وامتلاء الشفتين أو ضخامتهما وبروزهما وذقن طويلة أو قصيرة أو مفرطة كتلك التي عند القردة وغزارة في شعر الرأس والجسم وطول مفرط في الذراعين ووجود أصابع زائدة في اليدين أو القدمين وعيوب في التجويف الصدري و شذوذ في تركيب الأسنان وكثرة الوشم على أجسام المجرمين ،أما الصفات النفسية والعقلية فهي انعدام أو ضعف الإحساس بالإثم وعنف المزاج والغرور والاندفاع والتهور وعدم المبالاة والكسل وعدم احترام النساء وأخيرا الشعور الدائم بعدم الاستقرار النفسي والعاطفي (عايد عواد الوريكات ،2004،ص 80).

ب- المجرم المجنون :وتضم هذه الفئة كل شخص مصاب بنقص أو ضعف في قواه العقلية يؤدي إلى اختلال وظائفها مما يفقده ملكة التمييز بين الشر والخير ويجعله على درجة من الخطر تقتضي إما إيداعه في إحدى المصحات لعلاجه من مرضه أو إبعاده عن المجتمع في حالة استحالة هذا العلاج، وقد قسم لومبروزو المجرمين المصابين بأمراض عقلية إلى ثلاثة أقسام هم : المجرم الصرعي، والمجرم السيكوباتي، والمجرم المجنون، مع الاهتمام بحالة المجرم الأخير لما يرتبه الجنون في المجتمع من آثار أخلاقية

واجتماعية تنشأ من ارتكاب جرائم يجزع لها الرأي العام، حيث يكون لدى المجرمين المجانين هوس ببعض الجرائم بالأخص فمثلا يكون لدى بعضهم هوس لارتكاب الحرائق العمدية وهوس بارتكاب القتل العمد تؤدي لارتكاب تلك الجرائم بشكل متكرر وقد لاحظ لومبروزو أن لكل شذوذ عقلي مساهمته الخاصة في الإجرام خاصة في نوع معين من الجريمة، فالشخص الذي يتسم بالغباء عادة ما يرتكب جرائم مثل الاعتداءات والقتل والاغتصاب والحرق العمد لمجرد استمتاعه لرؤية النيران والأشخاص الذين يتسمون بالبلاهة أو ضعف القدرات العقلية يستسلمون بسهولة لدوافعهم الأولى أو اقتراحات الآخرين، فبالتالي يكونوا شركاء في الجريمة وعادة ما ينجرف الأشخاص المكتئبين وراء حزنهم الكبير أو بتأثير الهلوسة للانتحار، وكذلك من الممكن أن يقوم هذا الشخص بالقتل فقط كنوع من أنواع الانتقام وفي بعض الأحيان يقتل أطفاله حتى لا يلحقهم نفس مصيره.

ج–المجرم بالعادة :وهو المصاب بنقص عقلي وضعف خلقي، فإذا صادف ظروفاً اجتماعية سيئة كالبطالة، أو إدمان الخمور، فإنَّه يعتاد على ارتكاب الجرائم، وهذا الصنف من المجرمين يعتبر مصدراً مستمراً للإجرام، بسبب طبيعتهم النفسية المستعدة دوماً لارتكاب المزيد من الجرائم وهناك شبه إجماع في الفقه على أن الفئات الثلاث السابقة تمثل درجة متقدمة من الخطورة الإجرامية تحتاج إلى إفراد تدابير وقائية خاصة لكل منها لمنع استشراء عدواها للآخرين. (عايد عواد الوريكات ،2004،ص 80).

د– المجرم بالصدفة :الصنف الرابع وهو المجرم بالصدفة وهو لا يسعى إلى ارتكاب الجرائم ولكن تنزلق قدمه وينقاد إليها لأسباب كثيرة غير مقنعة أو كافية، بعبارة أخرى إنَّه من الأصل لا يوجد لديه أساس ميل للإجرام لكن تأثير العوامل والمؤثرات الخارجية الطارئة التي بدورها تضعف من مقدرته على كبح جماح نفسه فيقدم على الجريمة ومن تلك المؤثرات تعاطي المسكرات أو المخدرات، وكذلك الاحتياج الذي يدفع الرجل إلى السرقة، والجوع الذي من الممكن أي جعل الرجل لصاً ولو لمرة واحدة، ولوحظ أحياناً أنَّه يرتكب الجريمة من أجل تقليد الآخرين أو للفت أنظار أفراد الجماعة لشخصه، وهذا يقتضي تدبير خاص له لأجل علاجه والحيلولة دون تحويله إلى مجرم بالعادة. وتؤثر الكحوليات والمخدرات بشكل كبير جداً على هذا النوع من المجرمين كما اكتشف فيري في فرنسا، في الفترة من 1827 إلى 1869 حيث أنَّه في حين انخفاض الجرائم ضد الأشخاص بشكل كبير وسريع في الفترة من أغسطس إلى ديسمبر، فإنَّه على العكس من ذلك أظهرت الاعتداءات الجسدية الخطيرة، زيادة ملحوظة في شهر نوفمبر في فترة استيراد النبيذ الجديد بفرنسا. (عايد عواد الوريكات ،2004،ص 80).

ذ –المجرم بالعاطفة :يختلف تماماً هذا النوع عن زميله المجرم بالفطرة أو بالولادة، حيث يتميز بمجموعة من الصفات النبيلة، ويقترف جرائمه نتيجة لعاطفته المرهفة والمتأرجحة والتي تتأثر بأسباب متعددة أهمها الغيرة والحسد والحماس والاندفاع والشذوذ عن الشرف والأخلاق والحب، ويمكن لهذا الصنف العاطفي أن يرتكب جريمة القتل ضد شخص قام بالإساءة إلى أسرته أو شخص خان ثقته ويرى البعض أنَّه يمكن أن يندرج تحت مجموعة المجرم والمصاب بالهيستريا، وغالبا ما يرتكب هذا الشخص الجرائم السياسية. (عايد عواد الوريكات ،2004،ص 81).

لا شك أن لومبروزو له الفضل في توجيه الاهتمام إلى شخص المجرم كأساس للظاهرة الإجرامية خاصة من زاوية تكوينه العضوي، بعد أن كان الاهتمام منصباً على الجريمة كفعل مادي أصم ولا ينسى العلم لهذا الباحث فضله في الدفع بالدراسات الإجرامية نحو إتباع المنهج العلمي القائم على الملاحظة والتجربة، ودوره أيضاً في إنشاء وتطوير علم الأنثروبولوجيا (علم طبائع

الإنسان) ووضعه لأول تصنيف علمي للمجرمين قائم على الخصائص البيولوجية والعضوية والنفسية، محاولًا بيان الرابطة بين تلك الخصائص وبين السلوك الإجرامي ولهذه الأسباب لقب لومبروزو بالأب الروحي لعلم الإجرام.

1-1-2- نقد و تقييم النظرية :

انتقد لومبروزو ومن حدا حدوه بسبب ما قالوه عن علاقة أشكال معينة من الناس بالجريمة فالشكل كما هو ظاهر من كلام لومبروزو ليس دافعا لارتكاب الجريمة و إنما هو علامة على أن صاحبه مجرم فالمتأمل في الحالة الأولى التي فحصها لومبروزو وهو اللص المحترف فيليلا و ما استخلصه لومبروزو من ذلك نجد انه يعتقد أن الإنسان البدائي كان به خلل عضوي و انه كان يشبه القردة ثم تطور مع الزمن عضويا ومعنويا في صفاته وان بعض خصائصه قد انتقلت إلى بعض الناس عن طريق ما يسمى بالردة الوراثية فأصبحوا مجرمين وظاهر من كلامه انه يؤمن و يسلم بما قاله "شالز داروين" في نظريته الارتقاء والتطور كما سنرى فرويد يؤمن بالفكرة ذاتها وثلاثتهم يهود و هذه النقطة تفرض علينا عدة استفسارات أولهما ماهية نظرية داروين و ثانيهما عن قصة القرد الذي يتحدث عنه كل من داروين و لومبروزو و ثالثهما عن حقيقة علاقة الشكل بالسلوك.

1-2- انريكو فيري(1856-1929):

نشر فيري في كتابه الشهير " علم الاجتماع الجنائي "سنة 1881 وهو يرى أن الجريمة تقع بفعل عوامل شخصية وطبيعية واجتماعية، والعوامل الشخصية عبارة عن التكوين العضوي والفيزيولوجي والنفسي للمجرم وحالته المدنية وطبقته الاجتماعية ودرجة ثقافته وجنسه وسنه، والعوامل الطبيعية عبارة عن البيئة الجغرافية بكافة عناصرها، كالمناخ والتضاريس وإختلاف الفصول وطبيعة التربة والعوامل الاجتماعية متشبعة ولا تقع تحت حصر، وقد تظهر في نظام الأسرة وكثافة السكان والتنظيم الاقتصادي والسياسي والإداري والتشريعي ويعتقد فيري انه في بيئة معينة يقع عدد ثابت من الجرائم في ظل ظروف طبيعية وشخصية وإجتماعية غير ملائمة إذا وصلت مثل هذه الظروف إلى درجة التشبع الإجرامي وربط حتمية الجريمة بحالة التشبع الإجرامي، ويصنف فيري المجرمين إلى فئات متعددة فهم ليسو من نمط واحد لأنهم يختلفون بإختلاف شذوذهم البيولوجي والاجتماعي، فهناك المجرم المجنون الذي يصاب بمرض عقلي يفقده الإدراك ويدفعه إلى ارتكاب الجريمة نتيجة لذلك،وهناك المجرم بالميلاد الذي يشبه إلى حد بعيد النموذج الذي قرره لومبروزو، مع تركيز الأول على صفاته النفسية، وهناك المجرم المعتاد الذي يرتكب أكثر من جريمة ويصبح محترفا ولا يستطيع أن يتحول عن السلوك الإجرامي بسبب اعتياده وأكثر أصناف هذا النوع هم اللصوص والنصابين وهناك المجرم بالعاطفة الذي يتصف بالانفعال الشديد والمزاج العصبي والغيرة ويندم ويلوم نفسه على ذلك وقد يصل به الأمر إلى الانتحار وهناك المجرم بالصدفة الذي ينتقي لديه الميل للإجرام ولكنه قد يرتكب الجريمة بسبب ضعفه في عدم القدرة على مقاومة ظروف مهنية كالبطالة. (نجيب بولماين ،2008،ص 68)

1-3 -رافاييل جارفيلوا (1852-1934):

احد تلامذة لمبروزو و الرائد الثاني للمدرسة الوضعية الايطالية إلا انه خالف لومبروزو و فيري رافضا مبدأ الاختيار و فكرة المجرم بالولادة وهو ينحدر من أسرة نبيلة وأصبح مشرعا وأستاذا للقانون الجزائي وعضوا دائما في الحكومة ولا غرابة في أن يصبح مهتما بالقوانين الجزائية والإصلاح وله مجموعة من المؤلفات وهي : الأنثى المجرمة 1895، الرجل المجرم 1886، والجريمة أسبابها وطرق علاجها 1911.

يبدأ جارفيلو من الافتراض التالي وهو من اجل أن نفهم المجرم يصبح علينا من الضرورة بمكان فهم تعريف الجريمة وهذا ما نادى به دوركايم عالم الاجتماع الفرنسي ومن هنا يصنف الجريمة صنفين فهناك **الجريمة الطبيعية** : وأولاها أهمية بالغة و رأى أنها لاتحترم مسألتين ايثاريتين في غاية الأهمية بالنسبة للمجتمع العاطفة و الشفقة ووجدان المجتمع pity و هي رفض إيقاع الأذى و المعاناة على الآخرين و الأمانة probity وهي احترام حق التملك للآخرين وعليه فان المجرم تنقصه الأمانة والشفقة تجاه الآخرين وملكياتهم ومع هذا نجد جارفيلو يرفض التعريف القانوني للجريمة والذي ينص بشكل عام على أن الجريمة هي فعل مخالف للقانون الجزائي يتطلب تحديد عقوبة أو إجراء احترازي و نعود إلى الجريمة الطبيعية لنقول أنها أنانية لولا عدم التجربة الايثارية التي يقوم عليها المجتمع الإنساني ولقد رفض جارفيلو أن مسببات الجريمة هي الظروف البيئية والاجتماعية ورأى أنها ذات طبيعة عضوية وانتقد فكرة المجرم بالصدفة التي نادى بها لومبروزو و كذلك فيري ولقد قسم جارفيلو المجرمين إلى أربعة أقسام : المجرم القاتل ،المجرم العنيف ،المجرم السارق، المجرم الجنسي .أما فيما يتعلق بالعقوبة والتي أودعها مؤلفه علم الجريمة سنة 1885والذي ترجم إلى الانجليزية سنة 1914 فقد رأى أن المجرم يفتقر إلى الصفات الايثارية الأساسية وهو شخص غير كفؤ وصالح للمجتمع الذي يعيش فيه ،وهذه قضية تتعلق بالتطور أي أنها مشكلة تطورية والحل يكمن في التخلص منه و هذا مقارنة مع المدرسة الكلاسيكية التي وضعت قيمة رمزية للعقوبة لا وظيفة لها بناء على السبب للجريمة (عايد عواد الوريكات ، 2004، ص83). أما الجريمة المصطنعة فهي الأفعال المنتهكة لمكونات ثقافية مصطنعة، أو ما يسمى بالعواطف غير الثابتة كالديانات والعادات والتقاليد (عمر عبد الله المبارك الزهاورة ،2009،ص15)

قائمة المراجع المحاضرة الثالثة الجزء الأول :

– أكرم نشأت إبراهيم (2011): علم الانثربولوجيا الجنائي ،دار الثقافة للنشر و التوزيع ، عمان ،ط2.

- (موسوعة ويكيبديا،ar.wikipedia.org)

– عمر عبد الله المبارك الزهاورة (2009) : أثر المتغيرات الاقتصادية على السلوك الجرمي في المجتمع الأردني من وجهة نظر العاملين في جهاز الأمن العام ، جامعة مؤتة . – نجيب بولماين (2007–2008): الجريمة و المسألة السوسيولوجية دراسة بأبعادها السوسيوثقافية و القانونية ، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع التنمية،جامعة منتوري قسنطينة.

– عايد عواد الوريكات (2004): نظريات الجريمة ، الاردن ،ط1.

المحاضرة الثالثة التكوين البايولوجي للفرد المجرم (الجزء الثاني)

2- النظريات البايولوجية الجنائية بعد لومبروزو:

2-1- النظريات البايولوجية الاوروبية

وممن واصلوا البحث على درب الطبيب لومبروزو" أرنست كريتشمر " والذي اشتهر بدراساته عن العلاقة بين الاضطراب العقلي و البنيان الجسمي ،حيث ظهر اهتمامه بالجريمة سنة 1936 وذلك بعد اقتناعه خلال ممارسته للطب العقلي أن هناك صلات هامة بين البنيان الجسمي وبعض أشكال الاضطرابات العقلية والجريمة ، كان كريتشمر في قياسه للبنيان الجسمي دقيقا ومنظما بدرجة مدهشة فلكي يحقق اتساق القياس وإمكان تكراره وضع قائمة فحص محكمة تمثل الأجزاء الرئيسية من الجسم وحول كل مجموعة من العبارات التي تصفه وكان الباحث يملأ القائمة خلال وقوف المفحوص عاريا أمامه ونتيجة للتحليل المركب لهذه التقديرات والمقاييس الموضوعية وصل كرتشمر إلى وضع الناس في أربع مجموعات أسماها Somato type ، ولقد ادعى كرتشمر أن نظريته في البناء الجسمي وعلاقة ذلك بالأمراض العقلية والجريمة مبنية على منهجية علمية ذات خصائص أنثربولوجية طبية ، إلا أن ما يعاب على أبحاث هذا العالم والتي وضعت في الأصل لدراسة الأمراض العقلية هو محاولته إقحام النموذج الجسدي و خصائصه و علاقة ذلك بالإجرام (اوشاطر مريم ، 2008، ص15).

وكذلك " **ديتيليو** "الذي يعتبر أحد الرواد الرئيسيون في المدرسة الوضعية الإيطالية، وبالضبط يصنف ضمن رواد المدرسة الوضعية الجديدة في أوربا، انطلق من الإنتاج العلمي اللمبروزوي في دراسة الفعل الإجرامي، لكنه أولى اهتمام أكبر لدور البيئة الاجتماعية في حدوثه توج عمله بوضع نظرية التكوين الاستعداد الإجرامي ، عند عرضه لنظريته بالشرح، وقف عند نقاط أساسية في طرحه الكريمنولوجي، من بينها كما يتمتع الإنسان بتكوين نفسي وتكوين عقلي وتكوين عصبي يجعل له قابلية الإصابة بأمراض معينة كالسل والتهابات المسالك البولية وغيرها، يوجد أيضا تكوين إجرامي فإذا ما صادف هذا التكوين أو الاستعداد مؤثرا خارجيا يوقده، انطلقت غرائز الفرد فيقع الفرد في هاوية الإجرام أي بمعنى بالموازاة لقابلية الشخص أن يتعرض –على مستوى جسمه– لمرض معين(سمير يونس ،2006،ص57).

هناك قابلية أخرى تقوم على أساس التكوين النفسي والعقلي والعصبي للتحرك الإجرامي، تضل في مرحلة كمون أو انتظار إلى غاية توفر مثيرات تنشط هذا الاستعداد، وتدخل الشخص إلى مرحلة ممارسة الجريمة والانحراف، هذه المحيطة بالشخص، إلا أن دورها يبقى نسبيا كما يرى (دي توليو) أن الاستعداد الإجرامي لا يوجد على مستوى كل أفراد المجتمع، إلا أنه في حالة وجوده يمكن أن يصنف حسب درجته إلى أحد الصنفين التاليين:

*أ- استعداد إجرامي أصيل: وهو يمثل حالة الشخص الذي يكون التكوين العضوي لديه –وقد يكون حصيلة أسباب عصبية أو نفسية أو غددية أو حيوية- سببا في حدوث الظاهرة الإجرامية .

*ب- استعداد إجرامي عرضي: وهو يمثل حالة الشخص الذي يكون فيه الجانب الشخصي لديه (من الناحية العضوية)، ليس مركبا لكي يؤهل الشخص لكي يصبح مجرما، وإنما الظروف البيئية الاجتماعية المحيطة بالشخص هي التي تؤدي إلى ذلك .

*ج- وعلى ضوء درجة الاستعداد الإجرامي لدى الشخص، تتحدد درجة تأثير العوامل البيئية الاجتماعية في بروز النشاط الإجرامي ففي حالة الاستعداد الإجرامي الأصيل، يكون دور البيئة الاجتماعية في المعادلة الإجرامية، مجرد كاشف على وجود جانب التكوين الإجرامي للمجرم، ويعود سبب حدوث الجريمة إلى الاستعداد الإجرامي (سمير يونس ،2006،ص59).

-أما في حالة الاستعداد الإجرامي العارض، يبرز تأثير البيئة الاجتماعية في ظهور السلوك الإجرامي فهي تعد الأساس في هذه العملية، لقد أولى أهمية أكبر لتأثير البيئة الاجتماعية في وقوع الفعل الإجرامي، وهذا إلى درجة أنه جعلها الأساس في تفسير

السلوك الإجرامي الذي يصدر عن المجرم العرضي لكن رغم الإضافة النوعية في طرحه، إلا أنه وجهت له انتقادات على المستوى المنهجي حيث من هذه الناحية، تميزت أعماله ببعض القصور، فيما يخص حجم عينة البحث، فقد كانت غير ممثلة لصغر حجمها كذلك لم ينتهج اعتماد استخدام المجموعة الضابطة الخاصة بغير المجرمين خلال إجراء عملية المقارنة مع المجرمين (سمير يونس ،2006،ص59).

كذلك بالرغم من التوجه الاجتماعي (البيئي الاجتماعي) على مستوى طرح دي توليو، يبقى صاحب نظرية الاستعداد الإجرامي وفيا معرفيا للطرح العضوي في تفسير الجريمة، حيث بقي طرحه بالأساس بيو –نفسي كذلك لا تعد هذه النظرية (الاستعداد الإجرامي) بالنظرية العامة في تفسير الجريمة والانحراف، وإنما هي خاصة بفئة المنحرفين بالتكوين –من غير الواضح —على الأقل بالنسبة للباحث– هو كيف يوجد هناك استعداد إجرامي لدى المجرم العرضي، الذي تدفعه الظروف البيئية الاجتماعية إلى الإجرام، فالجريمة هي حصيلة العوامل الاجتماعية، ووجود هناك استعداد —حسب دي توليو– يدعو إلى التناقض. (سمير يونس ،2006،ص59).

2–2– الدراسات البايولوجية الأمريكية بعد سيزار لومبروزو :

مهد هذه المدرسة هي الولايات المتحدة الأمريكية وجاءت كردة فعل طبيعية على الانتقادات الموجهة للمدرسة الوضعية الكلاسيكية وهي تتفق مع هذه الأخيرة في بنائها النظري مع اختلاف طفيف راجع في الأساس إلى المستجدات العلمية المكتشفة آنذاك، وهذه المدرسة على منوال سابقتها عرفت تعددا في الأفكار والآراء واختلافا في بعض المفاهيم سنتناولها بشيء من الإيجاز كما سيأتي بيانه فيما يلي.

2–2–1– أرنست هوتون Hooton Ernest :

عالم أمريكي من بين أهم مؤلفاته " المجرم الأمريكي " دراسة أنثروبولوجية صدرت في سنة 1939 ،أحصى حوالي 14 ألف حالة من المجرمين المدانين بارتكابهم جرائم وحوالي 3 ألاف من الأشخاص الأسوياء الذين لم تثبت في حقهم أي إدانة جزائية ،هذا العالم يعد من أبرز المتخصصين في علم الأنثروبولوجيا البيولوجية قام بدراسات حقلية على مجموعة كبيرة من نزلاء السجون وتوصل إلى مجموعة من النتائج نلخصها فيمايلي :

– إن االمجرمين يتوزعون على فئات متباينة كل واحدة منها تتميز بصفات معينة وفي هذا الخصوص قام بتحديد مجموعة من الصفات ک :حجم الأذنين ؛ شكل الأنف ؛ مدى ضخامة الفكين ؛ العينين ؛ طول القامة ؛ الوزن ؛ كل الجمجمة ،فالمجرمون يعانون من انحطاط خلقي يتمثل في وجود تشوهات في تكوين أعضائهم وهي في عمومها موروثة (Pierre Grapin,1973,p54)

–فقد اعتمد هوتون الدراسة المقارنة بين المجرمين ونظرائهم الأسوياء وهذا في حد ذاته يصنف ضمن التحولات التي عرفتها المدرسة الوضعية في سياق الرد على هجومات الاتجاهات الاجتماعية والثقافية، لكن محاولات هوتون هي الأخرى لم تسلم من الانتقادات وقد تلقت هي الأخرى نصيبا من النقد نشير إلى أبرزها: انه اعتمد هذا العالم على نزلاء السجون والمؤسسات العقابية وجعلها كمرجع لأهم نتائجه وهذا يتناقض مع المبدأ الأساسي التي نادت به المدرسة والمتمثل في تطبيق المنهج العلمي التجريبي في الدراسة فلا أحد بإمكانه تجاهل وجود عدد كبير من المجرمين يفلتون من العقاب أو توقع عليهم عقوبات الغرامة أو بالحبس غير النافذ وتبعا لذلك فإن دراسة هوتون تعد قاصرة(عليلي عبد الصمد،2013، ص ص 73،74)

– وقوع هوتون في فخ من هو المجرم الحقيقي فهناك الكثير من يفلت من التابعة لعدم ثبوت الدليل لإدانتهم كإطلاعهم أو اكتسابهم لمعرفة قانونية كافية تجعلهم أكثر حرصا على تجنب المتابعة الجزائية، فأحيانا تكون مصالح الأمن عاجزة عن معرفة مرتكب الجريمة وإن فعلت ذلك فلن يكون قبل مضي مدة زمنية طويلة ربما تصل في بعض الأحيان لسنوات عديدة كذلك في تصنيفه

للمجرمين ينطلق هوتون من نقطة أن المجرمين الذين يرتكبون نوعا من الجرائم يشتركون في خصائص معينة فمثلا الأشخاص الذي يحترفون السرقة تجمعهم صفات مستقلة عن المجرمين القتلة وهذا لم تؤكده إلى يومنا هذه الدراسات العلمية بل على عكس من ذلك فهناك مجرمون يرتكبون عدة جرائم في أن واحد كالسرقة، القتل، الاغتصاب، الاحتيال وغيرها من الجرائم وخير دليل على ذلك هو أن المشرع الجزائي ينكر هذا التقسيم ولا يوليه أية أهمية تذكر وقد أقر المشرع الجزائري كباقي زملائه الشارعين مبدأ التعدد المادي ، بالإضافة إلى ذلك وإيمانا من قبل المشرع على وجود بعض المجرين الخطيرين الذين لا يتوانون في ارتكاب عدة جرائم في أن واحد أقر مبدأ الظروف المشددة الذي يطبقه القاضي بشكل آلي متى تبين له توفر الشروط القانونية المنصوص عليها(عليلي عبد الصمد،2013، ص ص 73،74)

2-2-2- ويليام شيلدون : William Sheldon

فقد ضمت دراسته حوالي 4 ألاف حالة تراوحت أعمارهم ما بين 16 و 20 سنة وقد استعان لأول مرة بالصور الفوتوغرافية الملتقطة للأشخاص المكونين للعينة ،إن تكوينه العلمي كان له الأثر الفعال في تبنيه للعلوم العضوية التطبيقية ومحاولة إيجاد تطبيقات لها في دراسة المجرمين فاستعان كثيرا بعلم الجينات لتفسير مسألة الانحطاط الذي يلتصق بشخص المجرم واعتمد هو الأخر على مبدأ تصنيف المجرمين وتوصل إلى تحقيق ثلاثة نماذج تتمثل فيما يلي :

أ- النموذج الداخلي و يضم الأشخاص الذين يتميزون بضخامة الجهاز الهضمي وترهل أعضاء الجسم واستداره وبالتالي يكونون في حالة ارتخاء دائم فهم يميلون إلى الراحة وقلة الحركة أي في حالة سكون بخلاف ما يقتضيه السلوك الإجرامي الذي يفترض أن صاحبه يتميز بالحذر والخوف والانتقال السريع من مكان إلى أخر حتى لا يكون عرضة لأية مساءلة من قبل المكلفين بالأمن(عليلي عبد الصمد،2013، ص75)

ب - النموذج العظمي وهو يضم الأشخاص الذين يتمتعون بقوة بدنية وعضلات مفتولة كما أن ضخامة الجسد والعظام تغريان صاحبهما بالمغامرة وإبراز القدرات وإرادة السيطرة على الآخرين فهؤلاء لديهم ميول عدوانية وتتجسد هذه الصفات في الاعتداء وارتكاب الجرائم الواقعة على السلامة والتكامل الجسدي للأفراد كما هو الحال مع جرائم القتل والضرب والاغتصاب.

ج- النموذج الدقيق ينطبق على الأفراد الذين يتميزون بالضعف البدني والهزال فغالبا ما يكون أصحاب هذا النمط ذوي أجساد ضعيفة وانخفاض الصدر وضمور في الجهاز العضلي والعظمي والهضمي، فحسب شيلدون هذا النوع من الأفراد يتميزون بالتحفظ والانطواء وتجنب الاختلاط هذا الوضع يجعلهم بعيدون عن المغامرة والتصرفات الطائشة التي لا تمثل بأي شكل من الأشكال طموحاتهم و تصوراتهم في الحياة الاجتماعية (عليلي عبد الصمد،2013، ص 75)

و لكن الفرضيات التي صاغها في نقطة البداية لا تتناسب في كثير من الأحيان مع السلوك الإنساني فالمتعارف عليه إلى غاية يومنا هذا أن العلوم الإنسانية والاجتماعية لم تصل بعد إلى مرحلة إجراء التجارب على الجنس البشري ويقتصر ذلك فقط على العلوم التطبيقية كذلك في معرض حديثه وشرحه لنظريته تطرق إلى مسألة الانحطاط الذي يصيب التكوين الوراثي أو الجيني للإنسان وانتقالها عن طريق الوراثة إلى الأجيال اللاحقة، فالمتفق عليه علميا في وقتنا الحاضر أنه لم يثبت وجود أية جينات مسئولة عن توريث السلوكات الإجرامية من الآباء إلى الأبناء كما هو حاصل مع التشوهات الخلقية ومن المؤاخذات المحسوبة على هذه الدراسة هو حجم العينة التي لا ترتقي إلى حد التمثيل المناسب حتى نستطيع تعميمها على جميع الأفراد وعلى جميع المستويات. (عليلي عبد الصمد،2013، ص 75)

2-3- عناصر أخرى كان لها الفضل في تفسير السلوك الإجرامي وفق هذا الطرح البايولوجي و هي:

2-3-1- الوراثة : و على هذا الأساس تم تناول العديد من الدراسات لإثبات ذلك:

***الطريقة الأولى: دراسة شجرة العائلة:** هذا الأسلوب يستند إلى دراسة عائلة معينة لمعرفة مدى انتشار الإجرام بين أفرادها ولتحديد مدى إمكانية انتقاله من الأصول إلى الفروع في هذه العائلة وكانت أولى هذه الدراسات وأهمها في هذا المجال تلك الدراسة التي أجريت على عائلة "**جوك** " الأمريكية والتي قام بها "**دوجدال**، حيث لاحظ أثناء زيارته لسجون ولاية نيويورك ارتفاع معدل الجريمة بين مجموعة من الأفراد المنحدرين من أصل واحد وأوضحت الدراسة التي أجريت حول هؤلاء الأفراد أن أصلهم المشترك كان مدمناً على الخمر وكانت زوجته مشتهرة بارتكاب جرائم السرقة وأوضحت الدراسة أن ذرية هذه العائلة على مدى سبعة أجيال متعاقبة ضمت 709 شخصاً، كان بينهم عدد كبير من القتلة والسارقين والداعرات ومدمني الخمر والمتشردين وعدد آخر من المتسولين والمصابين بأمراض عقلية (مهند صالح طراونة ، 2004،ص40)

إن من أهم ما يؤخذ على هذا الأسلوب في دراسة تفسير السلوك الإجرامي أنه أغفل تماماً دور البيئة في ارتكاب الجريمة فإذا كان الأب أو الجد مجرماً فإن إجرام الأبناء أو الأحفاد قد يرجع للتأثير السيئ للبيئة التي يعيشون فيها وهي بلا شك بيئة مهيأة في الأغلب لارتكاب السلوك الإجرامي ثم أنه وبنفس المنهجية في التفكير لم تبين هذه الدراسات لماذا لم يكن للوراثة دور في الابتعاد عن طريق الإجرام عندما كان أحد الأبوين غير متصف بالإجرام أي الدراسة أغفلت العوامل الداخلية الخاصة بأحد الأبوين .

*** الطريقة الثانية : الإحصائية لأسر المجرمين :**

تقوم هذه الطريقة على أساس دراسة العلاقة بين الوراثة والظاهرة الإجرامية لا تركز على دراسة الإجرام في ذرية فرد معين وإنما تمتد الدراسة إلى أقاربهم كالأخوة والأعمام والأخوال، كما أنها تتسع لتشمل مجموعة غير منتقاة من المجرمين وذلك لتفادي تأثير البيئة الواحدة عليهم وتقوم هذه الوسيلة على أحد أسلوبين: إما اختيار مجموعة من المجرمين لمعرفة مدى انتشار الإجرام بين أسلافهم وأقاربهم، وإما اختيار مجموعة من الشواذ وبيان مدى انتشار ظاهرة ارتكاب الجريمة بين أسرهم وأقاربهم و من الدراسات في هذا الشأن تلك الدراسة التي قام بها العالم الألماني "**ستمبل** " حيث أجرى دراسته على عدد من المجرمين العائدين وعدد من المجرمين الذين وعدد من غير المجرمين، كما شملت الدراسة حوالي 20 ألف من ذوي أقربائهم ارتكبوا الجريمة لأول مره،(مهند صالح طراونة ، 2004،ص42) و لكن جميع هاته الدراسات في هذه الطريقة اعتمدت على الإحصاء فقط و استخلصت منه النتائج دون أن تأخذ في اعتبارها العوامل البيئية و الظروف المحيطة بالفرد.

***الطريقة الثالثة : دراسة التوائم :**

الطريقة التي تقوم على أساس تلقيح بويضة واحدة بواسطة حيوان منوي واحد ثم انقسام هذه البويضة الملقحة إلى جزأين ويطلق على هذا النوع "التوائم المتماثلة" حيث أن هذا النوع من التوائم يتشابه أفراده في اغلب الخصائص والثاني ينشأ عن تلقيح بويضتين مختلفتين ويسمى "التوائم غير المتماثلة" وتكون نسبة التشابه بين أفراد هذا النوع في الخصائص أقل من درجته بالنسبة للتوائم المتماثلة ،أجرى الكثير من الباحثين دراستهم على التوائم بنوعيها مثل جوها نز لانج –لاجراس– روزانواف وقد خلص الجميع إلى نتائج أهمها : تأكديهم في هذا المجال على دور الوراثة في الدفع إلى سلوك سبيل الجريمة خاصة فيما يتعلق بالتوائم المتماثلة. (مهند صالح طراونة ، 2004،ص44)

– و لكن الدراسة تعرضت للنقد كون عدد التوائم التي أجريت عليها الدراسة قليلة والذي لا يسمح بتعميم النتائج كذلك المجموعات التي أجريت التجارب عليها كانت منتقاة وهذا يتنافى مع أساسيات الإحصاء.

* وما يمكن استخلاصه من كافة الدراسات التي أجريت لبيان دور الوراثة في الظاهرة الإجرامية أن العوامل الداخلية تلعب دوراً ما في مجال تفسير الظاهرة الإجرامية وذلك عن طريق انتقال بعض الخصائص أو الإمكانيات وراثياً من الآباء إلى الأبناء تجعل لديهم

استعداداً ما إلى ارتكاب الجريمة إذا تضافرت مع هذه الإمكانيات أو الخصائص الداخلية عوامل أخرى مستمدة من البيئة التي يعيش فيها الفرد.

2-3-2- الخلل العقلي و تأثيره على الجريمة :

يقصد به المرض العقلي أو الجنون وهو اختلال في القوى الذهنية يؤدي إلى تغير نشاطها عن النحو الطبيعي و عليه يختلف عن الضعف العقلي و الأمراض العقلية متنوعة أهمها :

أ- الفصام schizophrénie: يطلق عليه أسم انفصام الشخصية ويعد من أخطر الأمراض العقلية على الإطلاق لما يترتب عليه من أثار على شخصية المريض خاصة و هو في سن الشباب وهذا النوع من المرض العقلي يتجلى لدى المصاب باختلال التفكير و اضطراب في الشخصية و ببرود في الانفعال و بالانطواء في عالم الخيال و الوهم و قد تنتاب المريض حالات من الهلوسة في السمع والبصر فكل هذه الأعراض في المرض قد تدفع بالمريض إلى ارتكاب أفعال إجرامية .(أمال هزيم ، 2013، ص 16).

ب- الذهان التأويلي (بارانويا) : تعد البارانويا نوع من انفصام وهو مرض يصيب الإنسان في ناحية معينة من عقله و يتمثل في فكرة خاطئة تسيطر على المريض ويكون تفكيره فيها مختلا تماما بينما يكون تفكيره سليما وعاديا فيما عداها ، والمريض بالبارانويا قد يظهر للناس حسب الفكرة التي تسيطر عليه وهذه الفكرة قد تجعله يقبل على ارتكاب جرائم العنف إذا اعتقد أن الضحية كانت في موقف عداء له كما انه قد يقبل على السرقة أو التخريب إذا ساء عنده اعتقاد أن الضحية يستحق ذلك العقاب إضافة إلى كل هذا قد يتجه المريض في الميدان العاطفي إلى الاعتداء على الفساد و إلى الشذوذ الجنسي . (أمال هزيم ، 2013، ص 16).

ج- الهوس و الاكتئاب : يتسم الهوس بحالات تتعاقب على المريض في فترات مختلفة و في نوبات متتالية دون سبب إذ يتجلى الهوس في حالة ابتهاج و سرور يعتري الشخص ففي حالته الانفعالية يصاحب المريض شعور بالإثارة و التوهج و توهم القدرة على القيام بأي نشاط و قد يترجم هذا النشاط بأنماط مختلفة من السلوك الشاذ العنيف و الاندفاعي الذي يفتقر إلى الضبط والتحكم و السيطرة ، أما **الاكتئاب** فقد يتجلى بمظهر القلق والتشاؤم واليأس و يتخلل هذا أحيانا فترات من التعقل و الرزانة و الهدوء و يتجلى ذهان الاكتئاب في الشعور بمشاعر سالبة كالحزن الشديد و فتور الهمة وانخفاض الروح المعنوية و انكسار النفس و يعتقد المريض أنه لا قيمة له . (أمال هزيم ، 2013، ص 17).

د- التخلف العقلي و علاقته بالجريمة

يتضمن في طبيعته إعاقة النمو الطبيعي للقوى العقلية قبل اكتمالها وقد تكون أسبابا وراثية تسبق الولادة أو قد تكون ناشئة عن عملية الولادة ذاتها أو قد تعقب عملية الولادة بفترة قصيرة ولذلك فان نقص العقلي الوراثي هو الذي ينشأ عن عوامل وراثية تنتقل من السلف إلى الخلف عن طريق الإخصاب و قد حاول "جودارد "أن يثبث من خلال دراسته عائلة "بالكاليكاكي"أن هذا الضعف العقلي صفة موروثة بين أفراد العائلة ،وقد قامت دراسات وبحوث متعددة تناولت العلاقة بين الذكاء بوجه عام و التخلف العقلي بوجه خاص وبين الجريمة و السلوك الإجرامي ،وتركز غالبية هذه الدراسات على بعض الفرضيات الأساسية التي تفترض أن المجرمين متخلفين عقليا و أن مثل هذا التخلف يؤدي إلى لارتكاب الجريمة (احمد العبادي ،دت ،ص03)

وللتخلف العقلي مراتب تتمثل في العته وهو الإنسان الذي لا يزيد نموه العقلي عن 24 درجة وعمره العقلي عن ثلاث سنوات و ينذر قيام المعتوهين بارتكاب جرائم لضعف أجسامهم مثل التشرد ، العري المنافي للحياء ،وفي المرتبة الثانية البله وهم أعلى مرتبه من العته و نسبة الذكاء الأبله تتفاوت بين 25 و 49 درجة و عمره العقلي يتراوح بين 3 و 7 سنوات ويقتصر جرائمهم في التسول و السرقات التافهة والنمط الثالث هو الحمق إذ يعتبر أعلى مراتب التخلف العقلي ونسبة الذكاء تتفاوت بين 50 و 69 درجة وعمره العقلي يتراوح بين 7 و 10 سنوات و تتعدد جرائمهم في النشل و السرقات الكبيرة كالسلب و السطو و التي عادة ما يرتكبونها بتحريض من المجرمين المحترفين (أكرم نشأت إبراهيم ،2011،ص80).

مما سبق طرحه نستخلص أن أصحاب الاتجاه البايولوجي يرون العلاقة بين السلوك الإجرامي والتموين الانثربولوجي العضوي الطبيعي الفزيولوجي والمورفولوجي لجسم الإنسان من حيث الملامح العامة أو الصفات التشريحية فضلا عن الخصائص الوظيفية لأعضاء الجسم المتصلة بالجهاز العصبي والغدد الصماء ولكن الطرح البايولوجي بقى أحادي الطرف في تفسير الجريمة والمجرمين مما تعرض للعديد من الانتقادات التي ترى أن الإنسان مخير في سلوكاته وأفعاله وليس مسيرا وفق أصحاب هذا الاتجاه الذين بالغوا في ربط العيوب الخلقية الجسدية كعامل وحيد للجريمة لتتولى تحليل المجرم اتجاه آخر ساهم إلى حد كبير في تمييز بعض الخصائص والأمراض النفسية التي تدفع الإنسان لارتكاب الجريمة

قائمة المراجع للمحاضرة الثالثة التكوين البايولوجي للفرد المجرم (الجزء الثاني)

– يونس سمير (2006):ظاهرة العود الى الانحراف ،رسالة ماجستير في علن الاجتماع الجريمة والانحراف ،جامعة عنابة .

– عليلي عبد الصمد (2012-2013): الجريمة بين المفهوم القانوني و مدلولاتها في مخيلة الأفراد ، رسالة دكتوراه في الثقافة الشعبية ، جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان .

– أمال هزيل (2012-2014): الجرائم ضد الأصول ، رسالة ماجستير في العلوم القانونية علم الإجرام و العقاب ، جامعة باتنة

-Pierre Grapin(1973) :L'anthropologie criminelle, Presses universitaires de France, Paris.

المحاضرة الرابعة التكوين النفسي للفرد المجرم

ليس هناك من شك في أن ظاهرة الجريمة تعد من اخطر الظواهر الاجتماعية التي تهدد الكيان البشري في أمنه، واستقراره، بل وحياته وانطلاقاً من الخطورة التي تتسم بها هذه الظاهرة تجد علماء النفس يولون هذه الظاهرة اهتماماً منقطع النظير من حيث الدراسة حتى تمخضت هذه الدراسات عن نشوء عدة اتجاهات فكرية في دراسة الظواهر الإجرامية والبحث في حقائقها و من بين تلك النظريات نجد :

3-1- مدرسة التحليل النفسي:

هي المدرسة التي نشأت تحت تأثير أعمال و أبحاث كل من سيجموند فويد (1856-1939)، والفرد أدلر (1870-1937)، لكن فرويد كان تأثيره أكثر وضوحا وغزارة، ولهذا سميت" **مدرسة التحليل النفسي**"أيضا بـ "**النظرية الفرويدية**."و بدأ فرويد بالتأكيد على اللاشعور، وعلى ما أسماه بالدوافع اللاشعورية (القوية) وتأثيرها في سلوك الإنسان، وعلى أهمية مرحلة الطفولة المبكرة لدى الأفراد، وعلى الاضطرابات العاطفية والوجدانية عند الفرد، وعلاقتها بتفسير السلوك الإنساني، السوي منه والمريض على حد سواء. ولكنه ركز على مفعول امتدادات الاضطرابات اللاشعورية وتشعباتها في بروز أو ظهور الشخصية المرضية (نفسيا)، أو بروز و ظهور السلوك غير السوي، أو الشاذ أو الإجرامي. فمن منطلق التركيز على مرحلة الطفولة المبكرة في تشكيل الشخصية الفرودية، يرى فرويد في اللاشعور والكبت والحرمان، وعقدة الذنب وعقدة أوديب، وعقدة الكترا، والشعور بالنقص، أحد مظاهر الاضطرابات النفسية التي تؤثر في سلوك الإنسان، وحاول بواسطتها تفسير بعض السلوكيات والانحرافات والاختلالات العصابية والمرضية، بغض النظر عن الوضع والمحيط الاجتماعي وبغض النظر عن تأثيرات المحيط الإجرامي(تأثير الثقافة الإجرامية) (خلفة سارة ، 2017،ص93).

3-1-1- أقسام الشخصية عند سيغموند فرويد:

حسب فرويد، الشخصية تنطوي أساسا على ثلاثة عناصر أساسية متصارعة ومتناقضة وهي: **الـ"هو" (أو "هي** :ID("أي الدوافع القوية لدى الفرد التي تبحث عن إشباع بأية طريقة، أو هي النزعة الأنانية أو مجموع الرغبات الفردية بشكلها البدائي، وحب الذات واللذات والشهوات، غير المسيطر عليها، وهو ما يعني الذات في صورها البدائية، أو الدوافع الفطرية للفرد، أو أصول الدوافع والغرائز التي تتطلب إشباعا فوريا وتمثل اللاشعور، أو العقل الباطن و**الأنا العليا** :''SUPER EGO" وهي عبارة عن الصور المثالية والفضائل الأخلاقية التي نتعلمها في الصغر، أو التي تلقنها العائلة للأطفال، وهي بمثابة الضمير الحي، والوازع المثالي وتمثل ''ما فوق الشعور'' لدى الأفراد (النزعة العلوية لدى الفرد) وهنا يكون الضبط داخليا وليس خارجيا. وأخيرا **الأنا** :''ego'' وهي الذات في صورها العاقلة (العقل الظاهر) المسيطرة التي تكبح جماح ''الأنا العليا'' (التي تهدف إلى الإسراف في المثالية، والتعالي عن الملذات والشهوات، وتدفع إلى الزهد والمزيد من الأخلاق المثل العليا) من جهة، والـ ''هو/هي''، أو الرغبة في الملذات والشهوات والنزعة الأنانية، وإشباع الرغبات الفردية بدون حدود أو قيود، من جهة أخرى. وتمثل ''الأنا'' الإدراك والوعي لدى الفرد(خلفة سارة ، 2017،ص93)

وإذا عجزت '' الأنا'' عن تسيير وتقويم كل من الـ''هو/هي'' و''الأنا العليا''، وقع الإنسان في صراع داخلي، حيث يؤدي هذا الصراع في النهاية إلى تغلب إحداهما على الأخرى. فإما أن تتغلب ''الأنا العليا'' ويتجه الفرد بذلك إلى الزهد والتعبد، أي الابتعاد عن الواقع بطريقة أو بأخرى(وهذا في حد ذاته يعتبر سلوكا شاذا)، وإما أن تسيطر على ''هو/''هي، أي الذات المفرطة في الرغبات والملذات، وبذلك يتجه الفرد إشباع رغباته وشهواته وملذاته وبدون قيد أو حدود وبكل الطرق، ومنها **الطرق الإجرامية** وهكذا يسلك الفرد سلوكيات غير سوية(ومنها السلوكيات الإجرامية)، كي يلبي كل ما تطلبه ذاته الأنانية. إن عجز

''الأنا'' عن أداء دورها الرقابي، التوازني، قد يؤدي إلى ظهور السلوكيات الانحرافية في صور وأشكال ودرجات مختلفة، وذلك يرجع إلى الاستعدادات الفردية(تأثير لمبروزو هنا واضح)، والى المحيط الاجتماعي، أو قد يؤدي العجز عن التوفيق بين ''الهو/هي'' والأنا العليا''، أي وجود ''الأنا'' غير المتكيفة في النفس البشرية، إلى الإحباط، ثم الإحباط الشديد، ومنه إلى السلوك العدواني أو الإجرامي حسب أصحاب النظرية (خلفة سارة ، 2017،ص93).

3-1-3- نقد النظرية:

- لقد بالغ فرويد مبالغة غير معقولة في القول بالغريزة الجنسية والعقد الناجمة عنها وذهب مذهبا بعيدا ابتداء من تأويله لرغبات الطفل و ما استنتج ذلك من القول بالعقد النفسية ومنها ما يسمى بعقدة اوديب مما يدل على الهوس الفرويدي بالتفسير الجنسي لكل شيء و ليس السلوك المنحرف فقط .

- إن الأخذ بمنطق المدرسة التحليلية يقودنا إلى التسليم بحتمية الوقوع في الجريمة تبعا للصراع الذي يتم في الجانب اللاشعوري من النفس البشرية وما يصاحبه من خلل أو اضطراب نفسي ولكن هذا يتعارض مع اعتبار الجريمة مخلوقا قانونيا يتجاوب مع متطلبات الحياة الاجتماعية . (منصور رحماني ،2006 ، ص 79).

- كل الآراء التي قيلت في تفسير السلوك المنحرف تبقى مجرد فرضيات تحتمل الخطأ بنفس مقدار احتمالها الصواب إذ لا يوجد مقياس للتأكد من مدى صحتها أو خطأها كما هو الشأن في الدراسات العضوية والطبيعية بصفة عامة فالقول بأن السلوك الإنساني بما فيه المنحرف هو نتيجة حتمية للاضطرابات النفسية يصدق معه ضده وهو القول بأن الاضطرابات النفسية هي نتيجة حتمية للسلوكات التي يقوم بها الفرد لأن النفس كما تؤثر تتأثر أيضا واقتصار النظريات النفسية على جانب واحد فيه من القصور ما فيه .

- ما فعله فرويد من تقسيمه للنفس البشرية إلى ثلاث مراتب له نظير في التراث الإسلامي فقد قسم حامد أبو الغزالي قبل فرويد بنحو تسع قرون النفس إلى ثلاث مراتب و هي النفس الأمارة بالسوء و التي يسميها فرويد النفس ذات الشهوة و النفس اللوامة و هي الأنا الدنيا عند فرويد و النفس المطمئنة و هي الأنا العليا و كل هذه الأقسام مذكورة في القران الكريم .

- وقعت هذه النظريات فيما وقعت فيه النظريات العضوية من القول بأن العامل الواحد (العامل النفسي) و هذا يعبر عن قصوره لان الظاهرة الإجرامية متعددة العوامل .

- ربط فرويد الأحلام بشيء واحد و هو ما خزن في اللاشعور حيث تظهر هذا المخزنات الأحلام فهذا حتى و إن كان جزء منه صحيحا فان فرويد كعادته توسع كثيرا و قاده توسعه إلى الخوض في الحديث عن أصل الإنسان فيرى فروي دان الأحلام بقبة وراثة في النفس كما إن الزائدة الدودية بقية وراثة في الجسم فانا نحلم كما لو كنا نعيش قبل عشرين ألف سنة أي بنفسية تعيش في بيئة الوحوش والغابات والكهوف المظلمة ولذا نجد جملة من الأحلام فير مرتبطة ببيئتنا التي نعيش فيها و لا مرتبطة بالكتب التي نقراها (منصور رحماني ،2006 ، ص 80).

3-2- نظرية ألفريد أدلر: (1870- 1937)

ينطلق ألفريد أدلر من افتراض أن السلوك الإنساني نابع من تفرد الإنسان الذي تحركه الحوافز الاجتماعية وهذا التفرد ناشئ عن وجود الذات الخلاقة الهادفة في سلوكها لتحقيق غاية يخطط لها الإنسان بشكل شعوري واضح. ومن هنا كانت نظرية أدلر غائية لأن الأهداف هي السبب الذاتي للأحداث السيكولوجية، فهي تحرك في الإنسان الميل إلى التفوق والتغلب على نواحي النقص فيه بتنمية علاقاته الاجتماعية وهكذا تتضح الأبعاد النفسية الاجتماعية في نظرية أدلر ، حيث أكد أدلر سنة 1937 مؤسس علم النفس الفردي '' على ما لدى الإنسان من رغبة الانتماء إلى جماعة وحصوله على مكانة ومنزلة منها، في هذه الحالة أما أن تنمو

لديه رغبة اتجاه السلطة والسيطرة أو يصاب بعقدة نقص وحينما يصبح الفرد على دراية بفشله وقصوره فانه غالبا ما يلجأ إلى تعويض شعوره بالنقص تعويضا مبالغا، وعلى ذلك قد يصبح الانحراف بالنسبة للفرد وسيلة لجذب الانتباه لذاته وتعويضا لما يعانيه من إحساس بالنقص أو الدونية، هذه العقدة إما تنتج عن الشعور بالدونية لوجود إما نقص جسماني أو عقلي أو اقتصادي، مما يثير في الفرد ردود أفعال عنيفة عند الفشل في التعويض عنها'' كما عمد أدلر إلى تعديل نظريته، فمع تسليمه بإمكان ارتباط السلوك الفردي بعوامل نفسية معينة، فان هذا السلوك كما يعتقد تمليه الأهداف المقصودة منه، فهو يرى أن كل الظواهر النفسية التي من شأنها أن تعين على تفسير السلوك الفردي يمكن فهمها وإدراكها، إذا نظرنا إليها على أنها تهيئ لتحقيق هدف معين، فالهدف النهائي للسلوك هو تحقيق احترام الذات وقهر الشعور بالنقص، يمكننا القول أن النموذج الغائي الذي يسعى أدلر إيضاحه قد يظهر بطرق مختلفة فحسب رأينا لكل نموذج طموحاته وأحلامه، فقد يظهر في العمل على تحقيق المثل الأعلى الذي يتخذه الفرد لنفسه في الحياة أو للسعي وراء النجاح والعمل والعلم مثلا (خلفة سارة ، 2017 ، ص 100)

3-2-2- نقد النظرية:

رغم أن مدرسة أدلر في التحليل النفسي تبدو محدودة الأثر في تفسير المشاكل السلوكية بوجه عام، إلا أن أفكاره كانت محل انتقاد عند الكثيرين إذ سلموا أن لكل فعل إجرامي له كمبدأ عام –هدف لا شعوري أولا- ولكن تجدر الإشارة هنا إلى تلك الجرائم التي ترتكب بطريق الخطأ والإهمال فما الهدف منها؟ إضافة إلى أن أهداف الفرد من وراء سلوكه دائما لا تكون واضحة، فتبقى كامنة لا تكشف عنها أية مظاهر خارجية. (خلفة سارة ، 2017 ، ص 100).

3-3- الأمراض النفسية و علاقتها بالسلوك الإجرامي :

تعتبر اضطرابات عاطفية تنتج عن تجربة نفسية واعية في ذهن المريض أو كامنة في عقله اللاشعوري وهناك من يرى بأنها اختلالات جزئية في الشخصية ناشئة عن اضطراب نفسي وتتجسد في القلق النفسي والذي يبدأ بنوبات حادة من القلق كما تأت النوبة مرة أو أكثر أثناء مرض القلق وخصائصها الهامة هي السرعة التي تبدأ وتتطور فيها أعراضها ويسيطر على المريض خلالها شعور هلع وفزع وتخوف وتوقع وشيك بالتلاشي أو بالإغماء أو الشلل أو الموت وتصاحبها بعض الأعراض الحسية كسرعة النبض أو خفقان في الصدر والبطن أو جفاف الحلق أو صعوبة التنفس ، بالإضافة إلى مرض التسلط كبروز فكرة متسلطة في شكل نزعة متسلطة نحو الحرق وهو ما يطلق عليه اسم نزعة الحريق حيث يجد المريض في نفسه دافعا قويا لا يستطيع مقاومته يدفعه بقوة نحو إحداث حريق فيقوم بذلك مرغما أما الهستيريا وينشأ هذا المرض عن رغبة غير واعية ذات طابع جنسي للمصاب به وقد تنشأ بسبب اثارات غير واعية وغير جنسية أيضا وتحدث نوبات هستيرية كتصدع الوعي المجسد في النومشة كان ينهض المريض من نومه و يمشي ويرتكب أعمال انحرافية (الحرق ،الاعتداء) ثم يعود للنوم مرة أخرى و عندما يستفيض لا يعي شيء ، أما ازدواج الشخصية يصيب المريض الذي يجعله يعيش شخصيتين متناقضتين في جسد واحد فغالبا إما تكون إحداهما خيرة و تسعى للخير أما الأخرى شريرة و تسعى للانحراف.(أكرم نشأت إبراهيم ، 2011،ص-ص84،86)

3-4 –التخلف النفسي و علاقته بالسلوك الإجرامي : بلغت الصلة بين التخلف النفسي و الجريمة حدا من التوثيق بحيث يمكن القول بأنه حيث وجد التخلف النفسي توجد الجريمة فالتخلف النفسي هو دوما مرتع خصب للجريمة ذلك لأن خصائص التخلف النفسي هي مقومات الجريمة وقد اجتمعت في مكان واحد فبالنسبة للمتخلف النفسي فان العبرة لا تعظ والعقاب لا يقوم و المستقبل لا يعني و الحاضر وحده هو الزمن كله واللذة الفورية هي الدافع و الهدف فلا غرابة أن يكون المتخلف النفسي فارسا في كل حلبة من حلبات الإجرام فالسرقات و الاحتيال و أنواع الإيذاء و الاعتداء كلها أو بعضها أو غيرها من أوجه نشاطه

المعتاد يقدم عليها دون تردد و لا تقف جرائمه عند حد و لو كان القتل (احمد محمد خليفة ، 1955 ، ص ص 173 ، 174)

3-5- الغرائز و اختلالاتها الإجرامية :

تتمظهر هذه الاختلالات في الغريزة الجنسية و المقاتلة و الاجتماع فالغريزة الجنسية سواء في جموحها او ما يعرف بالشبقية عند الذكور والغلمة عند الإناث تنشأ عن تضخم الطاقة الانفعالية للغريزة الجنسية فالمصاب بالجموح الجنسي تحدوه رغبة شديدة في إشباع الشهوة مما يدفع هؤلاء إلى ارتكاب جرائم الاغتصاب و ممارسة البغاء و جرائم الفساد أما الخمود الجنسي فيؤدي إلى العزوف عن العملية الجنسية مما ينجر عنه فشل بعض الأزواج والوقوع في الطلاق أو الدفع بالطرف الذي تكون له رغبة جنسية طبيعية إلى الخيانة الزوجية ما ينجم عنها من شكوك تنتهي في الكثير من الأحيان بالعنف أو حتى القتل ، أما الانحراف الجنسي فتتمظهر حالته في المثلية الجنسية و الاعتداء على الأطفال و الحيوانات ....الخ.أما غريزة المقاتلة فتضخم طاقة انفعال الغضب تجعل صاحبها عاجزا عن كبح غضبه مما ينجر عنه سلوكات عدوانية قتالية مشحونة بالعنف و مجسدة بالسب و الشتم و الضرب و الجرح أو حتى القتل أما اختلالات غريزة الاجتماع فخمودها يؤدي إلى عدم التعاون ويضفي على صاحبها عدم المبالاة بقواعد وسلوكات العيش و القيم المنصوص عليها اجتماعيا مما يؤدي إلى التمرد على معايير المجتمع و الوقوع في سلوكات مجرمة قانونيا و عرفيا .(علم النفس الجنائي ،universitylifestyle.net، 2020)

3-6- العواطف و انحرافاتها الاجرامية :

مثلما يكتسب الإنسان عواطف سوية صالحة مفيدة تسمو به إلى مكانة رفيعة في المجتمع كعواطف حب الوطن والخير والاحترام والفضيلة فانه يكتسب عواطف رديئة منحرفة تسوقه إلى مسالك الانحراف والإجرام كعواطف حب الشر والرذيلة والفساد المتمثلة بالتردد على أوكار البغاء وصالات القمار وحانات الكحول وتعاطي المخدرات لاسيما إذا كانت إحدى هذه العواطف الرديئة هي العاطفة السائدة لدى الفرد ،كما أن عاطفة اعتبار الذات التي تعتبر بحق ضمانة لحسن السلوك قد تنحرف بسبب ضعف فكرة الشخص عن نفسه فتؤدي إلى انطلاق نزعاته الضارة على أهوائها دون رقيب بعد أن ارتضى لذاته مستوى منحطا فيعكر صفو المجتمع بتصرفاته المنافية للخلق السليم والضار بالآخرين مما يعتبر في اغلب الأحوال جرائم كما قد يؤدي الغلو في عاطفة اعتبار الذات إلى تسلط الغرور والكبرياء على نفس صاحبها فيدفعه إلى عدم المبالاة بنظم الجماعة والإقدام على تصرفات تدخل أحيانا في عداد الجرائم (أكرم نشأت إبراهيم ، 2011،ص102).

العوامل النفسية للجريمة لاقت اهتماما ملحوظا من قبل العديد من الباحثين والمختصين في هذا المجال خاصة في العصر الحديث فاليوم تتجه العديد من الدراسات إلى وجهة نفسانية وعلاقتها بتشكيل نفسية المجرم ولكن ما يؤخذ على هذا الاتجاه أيضا مغالاته في الانحياز للعوامل النفسية إلى حد غيَّب اثر العوامل الاجتماعية التي تمثل محورا هاما في تفسير طبيعة الإنسان المجرم خاصة وأن الإنسان يولد صفحة بيضاء ويتلقى قيمه ومثله ومعاييره و مبادئه من المجتمع الذي ينتمي إليه لذلك فالإنسان ابن بيئته وتساهم في حد كبير في تحديد شخصيته مستقبلا وهذا ما سنتطرق إليه في الفصل التالي حول العوامل البيئية وعلاقتها بالسلوك الإجرامي .

قائمة المراجع المحاضرة الرابعة :

– أكرم نشأت إبراهيم (2011): علم الانثربولوجيا الجنائي ،دار الثقافة للنشر و التوزيع ، عمان ،ط2.

– احمد محمد خليفة (1955) : أصول علم النفس الجنائي ، دد، دط ، بغداد .

- خلفة سارة (2017):الجريمة من وجهة نظر التحليل النفسي (سجموند فرويد و ادلر) ، مجلة جيل العلوم الإنسانية و الاجتماعية

- منصور رحماني (2006) : علم الإجرام و السياسة الجنائية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دط .

المحاضرة الخامسة التكوين البيئي للفرد المجرم

1: البيئة العائلية : إن ما يذهب إليه علم النفس الحديث و التربية الحديثة في الوقت الحاضر على ضرورة صوان كرامة الطفل وكفالة حريته و المحافظة على حقوقه كإنسان وحمايته من الأذى والظلم واستغلال الأطفال في الأعمال المنافية للآداب أو المضادة للمجتمع ، أو في الأعمال الشاقة أو الليلية والقيام بأعمال النشل ، السرقة ، ترويج المخدرات والاعتداء الصارخ عليهم في ورش العمل أو ما يعرف اليوم باسم ظاهرة أطفال الشوارع (حسين احمد عبد الحميد رشوان ،2012،ص97).
ففي دراسة لكل من (شلدون جلوك) و(اليانور جلوك) سنة 1939م – 1949م على (500) نزيل في إصلاحية (ماستثوسس) ظهر ان حوالي 60% من النزلاء جاءوا من أسر متصدعة وفي دراسة أخرى لكل من (شو) و(ماكاي) حول الوضع الأسري لمجموعة من المنحرفين وجد أن 42.5% منهم جاءوا من أسر متصدعة بالمقارنة مع مجموعة ضابطة حيث أن 36.1% كانوا من الأسر غير المتصدعة وفي ألمانيا توصل (بون هوبر) من دراسة (110) من المجرمين الخطيرين الذين حكم عليهم، أن 45% قد أحاطت بهم ظروف أسرية سيئة (عبد الله مرقس رابي ،www.alukah.ne) وما يتعلق بالتعامل بين الوالدين والأبناء، فقد وجد (هيلي وبرونر) في دراستهما على (4000) حالة أن 40% منهم قد جاءوا من أسر ينعدم فيها التقويم وتسود النشئة الخاطئة وبالنسبة إلى الحرمان العاطفي، فقد وجد (هير تزول وستوريا) بفحصهما عدداً من الدراسات حول الموضوع، بأن هناك علاقة بين الجريمة والحرمان العاطفي للأبناء بسبب فقدان أحد الوالدين (عبد الله مرقس رابي ،www.alukah.ne) وهذا ما سنسعى لتوضيحه فيما يلي:

1-1- إجرام بعض أفراد العائلة : يتأثر الأبناء بسلوك أبائهم فينشئون على طاعتهم استنادا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " ويعتبر الخروج عن طاعة الأب امرا غير مقبولا اجتماعيا ولهذا فالعديد من الأبناء يرون القدوة في الآباء فإذا ما وجد الأبناء أبائهم منحرفين (تجار مخدرات ،سارق ،قاتل) فهنا المقومات الأخلاقية و الإنسانية تضعف لديهم وتتحطم في الكثير من الحالات وتصبح الجريمة والاعوجاج وسوء الخلق أمرا عاديا ونفس الشيء بالنسبة للأم المنحرفة التي تكون مستهترة وفاضحة سكيرة مقامرة أو ذات علاقات مشبوهة أو ذات سلوك غير أخلاقي مما ينعكس سلبا على سلوك الأولاد مستقبلا (زاوي دليلة ،2018،ص159).

1-2- التفكك الأسري : يمثل الكوارث الداخلية التي تتسبب عن فشل لاإرادي في أداء الدور نتيجة الأمراض النفسية أو العقلية مثل التخلف العقلي الشديد لأحد أطفال الآسرة أو الاضطراب العقلي لأحد الأطفال أو لأحد الزوجين،و الظروف المرضية الجسمانية المزمنة والخطرة التي يكون من الصعب علاجها (محمد مبارك ال شافعي،2006،ص10). وسنعرض فيمايلي أسباب غياب الوالدين أو احدهما عن العائلة والتعرف على اثر هذا الغياب على جنوح الأحداث .

1-2-1- الطلاق : فالطلاق بدوره يؤثر على الأسرة باعتبارها الخلية الأولى للمجتمع ، فإذا صلحت صلح المجتمع ، وان دمار الأسر وتفككها نتيجة الطلاق يؤدي إلى إعاقة بناء المجتمع وتقدمه فالطلاق أصبح من أهم المشكلات التي تواجه الأسرة خاصة

العربية فيؤدي إلى تفويض الأشرة وهدم بنيانها وفك الروابط القوية التي ترتبط بها وانفصال الزوجين و الإضرار بالأطفال وحرمانهم النشأة الطبيعية من رعاية الوالدين التي قد تؤدي إلى الانحراف والولوج في عالم الإجرام (ثروت محمد شبلي ،دت،ص13)

1-2-2- وفاة احد الوالدين أوكليهما: إن الأدوار الجديدة لكل من الأرمل والأرملة يبدو أنها تختلف من جوانب عديدة ويبدو أن هذا يرجع في المحل الأول إلى الاختلافات الجنسية ، ذلك لأنه ولأسباب عديدة يكون الدور الجديد للأرملة أكثر في مجال التوافق سيكولوجيا واجتماعيا إذا ما قورن بدور الأرمل ومن بين هذه الأسباب :

- أن الأرملة لا تجد تشجيعا اجتماعيا على الزواج مرة ثانية أي ميلها إلى عدم تكرار الزواج

- إن الزواج يكون عادة أكثر أهمية بالنسبة للمرأة من الرجل في كثير من المجتمعات في أغلب مناطق العالم ولهذا يكون انتهاء الزواج يعني انتهاء دور حيوي بالنسبة للزوجة .

- إن الأرملة لا تجد تشجيعا اجتماعيا على الزواج مرة أخرى ثانية أي ميلها إلى تكرار الزواج.

- تحمل المشاكل الاقتصادية للأرملة لنفسها ولأطفالها سوف تواجه إمكانية معاودة النظر في مستوى المعيشة الذي يستعرض بشكل أو بأخر .

1-2-3- الهجر والانفصال :

أ - الانفصال : يعني انفصال الطفل عن أمه فهو ترك الزوج أو الزوجة الحياة المنزلية بناءا على اتفاق سابق بين الزوجين على هذا الوضع وهو عدم الاتصال الجسماني واستقلال كل طرف عن الأخر في المخدع والمأكل (مصطفى الخشاب ، مرجع سابق ،ص 13) .

ب - الهجر : و يقال في لسان العرب أنه ضد الوصل، و هو أيضا أن يترك أحدهما دون اتفاق و بدون أن يبدي نظرة في الإبقاء على العلاقات الزوجية أو إنهائها (احمد براح ،2005، ص22).

1-3- المشاكل وعدم التوافق بين أفراد العائلة : قد تتخلل الحياة الأسرية مشكلات تؤدي إلى اضطراب العلاقات بين الوالدين والى سلوكات شاذة مما يهدد استقرار الجو الأسري والصحة النفسية لكل أفراد الأسرة فالخلافات الأسرية قد تكون حادة تتميز بثورة وعادة تأخذ شكل العنف مما يؤثر على نفسية الأبناء ويبحثون عن الحب والعطف والحنان خارج البيت فتكون جماعة الرفاق هي البديل ومن ثمة تعلم العادات السيئة والسلوكات الإجرامية فيصبحون عناصر هدم بدلا من عناصر بناء لأسرهم و مجتمعهم ويلجئون إلى الشارع لممارسة السلوك المضاد لمعايير المجتمع (عبد الرحمن العيسوي،1990،ص248).

1-4- التربية الأسرية الخاطئة : التربية الخاطئة تعتبر الحجر الأساس في تكوين الشخصية المنحرفة كما أنها من أهم العوامل صلة بالجريمة فقد تكون التربية في بعض الأحيان متسمة بالعنف والقسوة أو متسمة باللين والتهاون أو متراوحة بين القسوة واللين بحيث يجد الطفل أحيانا تسامحا وأحيانا أخرى غضبا وسخطا للأمر نفسه الأمر الذي يؤدي به إلى الحيرة والعجز عن فهم ما يراد به .فهناك العديد من الدراسات بينت هذا ففي ألمانيا أجريت دراسة على 500مجرم تبين أن 60 بالمائة من المبحوثين نشئوا في ظل مبادئ تربوية غير سليمة ،كما قام مركز دراسات وبحوث في سجون فرنسا تبين من خلالها أن 40 بالمائة من المبحوثين كانت

تعوزهم في طفولتهم رعاية الأم و أن 50 بالمائة من المجرمين عانوا كذلك الحرمان والرعاية والتربية ، كما توصل " شوكا لينجام " من خلال دراسته على عينة من المجرمين أن أغلبية المجرمين افتقدوا التربية والمراقبة الوالدية (يونس سمير ، 2006 ،ص125)

1-5- الظروف الاقتصادية للعائلة : إن تأثير الحالة الاقتصادية الضعيفة للأسرة لا يمكن أن يكون عاملا مباشرا بحد ذاته ولكنه يولد على الأقل حالات اجتماعية تساعد على الانحراف خاصة في المدن التي تكون فيها مغريات الحياة كثيرة وكذلك ارتفاع مستوى المعيشة بالنسبة للأسر ذوي الدخل الضعيف وبالتالي لا يمكنها تلبية حاجيات الأفراد مما يدفع إلى الانحراف والإجرام بشتى الأنواع (رزيق معروف ،1986،ص33)

2- البيئة المدرسية

تعتبر المدرسة المؤسسة الثانية بعد الأسرة في تكوين شخصية الطفل تربويا ونفسيا واجتماعيا بحيث يتلقى فيها المعارف والخبرات التي تنفعه في حياته العملية والعلمية، ومن هذا كان لزاما أن تحرص على أن تقوم بوظيفتها بشكل جيد،ومن هنا تظهر أهمية البيئة المدرسية باعتبارها البيئة الخارجية الأولى التي ينتقل إليها الطفل من البيئة العائلية التي ولد فيها حيث يواجه الطفل في المدرسة فرصا ضخمة للتقليد والاندماج والإيحاء وغيرها من وسائل اكتساب القيم والمبادئ والمدرسة بالنسبة للطفل أول مجتمع متشابك مترامي الإطراف يجد نفسه فيه حيث يلتقي بعدد كبير من الأطفال الذين يقاربونه في السن و يشاركونه نزعاته وأهوائه ويختلف كل منهم على الآخر في طبائعه وميوله واتجاهاته التي يكتسبها من بيئته العائلية وبذلك يواجه أول مجتمع حقيقي يحتاج إلى قدرات بإمكان التكيف معه تختلف عن تلك التي اعتاد عليها من عائلته (يحي خير الدين عودة،2007،ص107).

2-1- سوء اختيار المدرسين والقائمين على إدارة المدرسة : تعتبر المدرسة مؤسسة تربوية اجتماعية ولكنها قد تفشل في تحقيق وظائفها فسوء معاملة المدرسين وقسوتهم قد يجعل من المدرسة مثيرا شرطيا للألم والعقاب ويجد الطفل في الهروب منها الوسيلة المناسبة لخفض التوتر والقلق وقد يفشل الجهاز المدرس في تحقيق التساند والتكامل الوظيفي بين ادوار العاملين بالمدرسة ويظهر ذلك في عدم التعاون بينهم على اكتشاف مشكلات الأطفال في وقت مبكر وتصبح المدرسة في هذه الحالة اقل جاذبية لبعض الطلاب الذين يجدون البيئة الخارجية للمدرسة أكثر إمتاعا لتحقيق رغباتهم فيهربون من المدرسة إلى المناطق الجاذبة كما يسهل تعرضهم للانحراف وخاصة إذا اجتمعوا مع أصدقاء السوء وخارجها حيث الأصدقاء من العوامل التي تساعد على انحراف الطلاب فيرتبطون معا ويهربون معا من المدرسة وعندئذ يتقطعون عن المدرسة ولا ينتظمون فيها وقد لا تعلم الأسرة إلا بعد فوات الأوان خاصة إذا كانت شخصية المدرس مشوبة بعلل أخلاقية وانحرافات سلوكية فذلك شر يعود ضرره على تلاميذه.

3- بيئة العمل

تعتبر بيئة العمل ونوع النشاط الذي يزاوله الشخص من العوامل التي تؤثر كبيرا في ظاهرة الإجرام و قد يكون ذلك بطرقة مباشرة أو غير مباشرة فالاختيار الخاطئ للمهنة تحت إكراه الوالدين يؤدي إلى تناوشات واضطرابات لدى بعض الأفراد مما يولد مع الوقت السلوك الإجرامي كما أن بعض الأعمال تؤدي إلى التأثير على الأعصاب كالعمل الرتيب والضوضاء والإيقاع السريع بالإضافة إلى الأعمال التي تتعرض مع نظم وقواعد المجتمع كالإجهاض في الوسط الطبي والسرقات البسيطة للتجار والمعاشرة بدون زواج في الوسط الفني بالإضافة إلى جرائم الرشوة والاختلاس والاستيلاء على المال العام ،ومن اخطر انحرافات بيئة العمل هو سلوك المشرف على العمل على بعض العاملين تحت إشرافه ممن يفتقرون لحصانة أخلاقية وينظرون إلى المشرف كقدوة فينساقون معه في القيام بأفعال إجرامية ضارة بالعمل كالسرقة والاختلاس والرشوة (أكرم نشأت إبراهيم،2011،ص134)

4– البيئة الترويحية :

يتحقق الانحراف السلوكي عند قضاء الفرد أوقات فراغه باتخاذ وسائل ترويحية ضارة و أن بعض تلك الوسائل تعتبر بحد ذاتها سلوكا منحرفا وإجراميا واخطر هذه الوسائل تعاطي المخدرات ، إذ تعد واحدة من المشكلات الاجتماعية، التي تهدد الأمن الاجتماعي للمجتمعات المنتشرة لانعكاساتها السلبية على متعاطيها ومروجيها وتُجاريها (بنيش حيزية ،2016،ص21). كما إن تعرض عقول الشباب إلى كم هائل من مشاهد العنف و القسوة و الإجرام بصورة مستمرة عبر وسائل الاعلام كالتلفزيون لاشك أنه يترك بصماته العميقة لديهم كما هو الحال بالنسبة إلى برامج التلفزيون الأخرى التي لا شك أنها تترك أثر في ذاكرتهم فالتلفزيون يترك أثرا فالتلفزيون في حالات الطفل يمكن أن يترك أثار نفسية أو جيدة وحتى الرسوم المتحركة التي تعرض في بعض البلدان أصبحت تفيض بمشاعر العنف والرعب و ذلك بإبراز المشاهد التي تظهر فيها الشخصيات ذات السلوك الإجرامي.

وهناك فئات لابأس بها من المجتمع ممن يفضلون قضاء وقت الفراغ مع شبكات التواصل الاجتماعي الا ان الانغماس المفرط فيها قد يعزز الإحساس بالعزلة والتوحد مع الذات وفقدان الصلة الملموسة بالواقع الفعلي. فضلا عن استطاعة الفرد عن طريق الهواتف الذكية مع توفر الانترنت على مشاهدة الأفلام الإباحية والمشاهد الجنسية والصور الخليعة بالإضافة إلى أنها وسيلة أمنة لتواصل الإرهابيين و المتطرفين و التخطيط لجرائمهم خاصة مع توفر الأسماء المستعارة .(سمير شعبان،2009،ص 18).

قائمة المراجع المحاضرة الخامسة :

– أكرم نشأت إبراهيم (2011): علم الانثربولوجيا الجنائي ،دار الثقافة للنشر و التوزيع ، عمان ،ط2.

– ثروت محمد محمد شلبي (دت) : الطلاق و التغير الاجتماعي في المجتمع السعودي . دط ، المكتب الجامعي الحديث ، القاهرة .

– بنيش حيزية (2016):الطلاق وعلاقته بالإدمان على المخدرات ،رسالة ماستر في علم الاجتماع الجريمة والانحراف ،جامعة خميس مليانة.

– حسين عبد الحميد احمد رشوان (2012): التنشئة الاجتماعية :دراسة في علم الاجتماع النفسي . ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، القاهرة .

– سمير شعبان(2009):الإعلام ودوره في نشر الجريمة والوقاية منها ،مجلة جامعة ورقلة ،الجزائر .

المحاضرة السادسة مناهج البحث في الانثربولوجيا الجنائية

تطور منهج البحث الأنتروبولوجي عبر مرحلتين رئيسيتين هما: المرحلة المكتبية والمرحلة الحقلية والمرحة المكتبية بدأت ببداية الأنثروبولوجيا في عشرينيات القرن التاسع عشر، حيث كان العلماء يعتمدون في جمع المعلومات على طرق غير مباشرة وعلى مصادر ثانوية، فقد كانوا يجلسون في مقاعدهم الوثيرة في مكاتبهم في أوروبا وأمريكيا، ويرسلون في طلب المعلومات إما من المكتبات أو من الرحالة والمبشرين ورجال الاستعمار الغربي في المستعمرات التي كانوا يديرونها، لذا عرفت الأنثروبولوجيا في هذه الفترة بأنثروبولوجيا المقاعد الوثيرة (حسين احمد عبد الحميد رشوان،2006،ص10) وقد تمخضت عن هذه الطريقة في جمع البيانات عن المجتمعات البدائية الصغيرة معلومات في معظمها متحيزة وعشوائية وسطحية، فقد جمعت هذه المعلومات بواسطة مجموعات لم تنل قسطا من الإعداد النظري الذي يوجه الباحث في حقل البحث.

ونسبة إلى هذه السلبيات التي ارتبطت بهذه الطريقة البحثية، فقد اتجه الأنثروبولوجيون منذ مطلع القرن العشرين إلى اعتماد طريقة جديدة في البحث الأنثروبولوجي انتقلت بالمنهج الأنثروبولوجي من المرحلة المكتبية إلى المرحلة الميدانية التي تقوم على طريقة العمل الحقلي ولقد وضع أسس هذه الطريقة رواد الأنثروبولوجيا الحديثة، أمثال "**مالينوفسكي**" الذي قام بدراسة جزر "التروبرياند" عام 1914، و"**راد كليف براون**" الذي قام بدراسة جزر "**الأندمان**" عام 1906، و"**إيفانز بريتشارد**" الذي درس قبائل "الزاندي" و"النوير" و"الدينكا" في العشرينيات والثلاثينيات ، و"**سلجمان**" الذي درس قبائل جنوب السودان عام 1909.

ويقوم العمل الحقلي على أساس التوجه للعيش المباشر بين المجتمع الذي يراد دراسته لفترة طويلة تمتد بين عام وعامين، والقيام بجمع المعلومات بطريقة مباشرة ، فالباحث يقيم بينهم، ويتعلم لغتهم ويشاركهم جميع أنشطتهم، ومن أهم المعلومات بالنسبة للباحث الحقلي ما يلي:

الملاحظة بالمشاركة:

تعني أن يُخضع الباحث نفسه إلى الظروف المختلفة لمجتمع البحث من حيث المشاركة في الحياة العادية لأفراده و القيام بأعمالهم المختلفة أي اعتبار نفسه جزءا من المجال المدروس يتفاعل و يتجاوب مع أفراده كأنه عضو منهم يقاسمهم حياتهم اليومية (احمد بن مرسلي،2003،ص203) .

أي ملاحظة سلوك الأهالي أثناء اشتراك الباحث في الأنشطة الاجتماعية المختلفة التي يؤدونها ويعتمد هذا المنهج البحثي على قبول الباحث من طرف أولئك المراد دراستهم، واعتماده كأنه واحد منهم، مما يتيح له الرؤية من الداخل كما يحاول الباحث أن يتقمص شخصية الفرد في المجتمع الذي يبحثه، وأن ينظر إلى الأشياء بالطريقة التي ينظر بها أهالي المجتمع نفسهم لهذه الأشياء.

–المقابلة :

مشتقة من الفعل قابل أي واجه ، وهي بذلك تعني المواجهة من حيث قيامها على مواجهة الشخص و مقابلته وجها لوجه من أجل التحدث إليه في شكل حوار يأخذ شكل طرح أسئلة من طرف الباحث و تقديم الأجوبة من طرف المبحوث حول الموضوع المدروس (احمد بن مرسلي،مرجع سابق،ص 204) .

وهي تعني أيضا تفاعل لفظي يتم عن طريق موقف مواجهة، يحاول فيه الشخص القائم بالمقابلة أن يستشير معلومات أو أراء أو معتقدات شخص آخر أو أشخاص آخرين للحصول على بعض البيانات الخاصة بالموضوع (احمد بن مرسلي،مرجع سابق،ص 204) .

– الاســـتبيان (اســـتمارة المقابلـــة) : هـــي "مجموعـــة مـــن الأســـئلة المرتبطـــة بالوضـــعية الاجتماعيـــة والعائليـــة للمبحـــوثين ومـــواقفهم وآرائهـــم و هـــي "وســـيلة اتصـــال بـــين الباحـــث و المبحـــوث تشـــمل مجموعـــة مـــن الأســـئلة تخـــص المشـــاكل الـــتي مـــن خلالهما ينتظر من المبحوث معلومة.

–المخبرون: من أهم مصادر البحث الحقلي المخبرون، وهم عادة كبار السن أو العارفين في المجموعة التي يراد دراستها، ويستفاد من أقوال المخبرين في التالي:

- التأكد من المعلومات التي حصل عليها الباحث بواسطة الملاحظة.
- أخذ معلومات لا يمكنه شخصيا الحصول عليها كالمعلومات عن العلاقة بين الجنسين في المجتمعات المحافظة مثلا.
- أخذ معلومات عن الماضي أو عن أشياء لا تحدث إلاّ نادرا، وقد لا يتمكن الباحث من حضورها.

–الطريقة الجينالوجية: وهي طريقة جمع المعلومات بواسطة سلاسل النسب والقرابة، أو ما يعرف بأشجار النسب، وهي طريقة تجمع بواسطتها معلومات عن القرابة والزواج والسكان وخصائصهم الاجتماعية المختلفة، كما يمكن أن تكون مصدرا لشتى أنواع المعلومات الاجتماعية حسب طريقة استخدام الباحث لها(عيسى الشماس،2004،ص134)

والخلاصة، إنّ الأنثروبولوجيا، علم منهجي والبحث الميداني من أهمّ مقومات نجاحه وهذا يتطلّب من الباحث معرفة الطريقة التي عليه أن يستخدمها، واضعاً نصب عينيه أنّ المشكلة التي يدرسها، هي في الأساس مشكلة إنسانية كما أنّ الواجب البحثي يقتضي أن يتمتّع الباحث، بدرجة عالية من الحساسية تجاه قيم الناس الذين يتعامل معهم، ومعرفة القوانين التي تحكم سلوكاتهم وأساليب التعامل معهم، وهذا ما يتيح له بناء علاقة وديّة معهم، وتسهّل بالتالي الحصول على ما يريده من معلومات .

قائمة المراجع المحاضرة السادسة

– حسين عبد الحميد احمد رشوان (2012): التنشئة الاجتماعية :دراسة في علم الاجتماع النفسي . ط1، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، القاهرة .

– عيسى الشماس (2002) : مدخل إلى علم الإنسان الانثربولوجيا ،اتحاد كتاب العرب ، دمشق ،دط.

– احمد بن مرسلي (2003): مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام و الاتصال . ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر.